التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 144 السنة السابعة عشر - نوفمبر 2019

لماذا يخشون التوطين؟!

متى نستعيد مجتمعنا المدني

7

موجة احتجاجات عربية جديدة

16

في ذكرى عبدالله خليفة

22

موقفنا

تقرير الرقابة والمحاسبة

نحار فعلًا حول ما الذي يجب قوله على خلفية صدور التقرير السنوي الجديد لديوان الرقابة المالية والإدارية، بما يحفل به من رصد لأوجه الفساد بالمؤسسات والوزارات؛ شأنه في ذلك شأن كل القارير السنوية السابقة، وسبق أن أشرنا نحن وسوانا بما هو عليه التقرير من مهنية واحتراف في رصد المخالفات المالية والإدارية في الجهاز الحكومي.

مصدر هذه الحيرة آتٍ من الحقيقة إياها التي قيلت وتقال كل سنة، وتتلخص في السؤال الكبير الذي سيظل ماثلًا بقوة وهو: ماذا بعد صدور التقرير، وبعد أن يطلع مجلس النواب والمجتمع المدني والرأي العام على ما يحفل به من تجاوزات ومخالفات، بعضها يتكرر بصورة تكاد حرفية في كل مرة، لا بل وفي الوزارات والإدارات نفسها التي سبق أن رصدت مخالفات فيها في تقارير سابقة، كأن لسال حال المسؤولين فيها يقول: ليس هناك ما نخشاه حتى لو سجل التقرير مجددًا المخالفات إياها.

لقد نُظر إلى تشكيل ديوان الرقابة المالية، وإلى تكليفه بإصدار هذه التقارير السنوية كأحد مكاسب الإصلاحات التي عرفتها البحرين بداية هذه الألفية، ولكن هذا المكسب سيظل ناقصًا إن لم يجر تعضيده بآليات لمحاسبة المسؤولين عن التجاوزات التي يرصدها، فلم نر وزيرًا أعفي من منصبه طوال هذه السنوات بسبب ما ارتكب في وزارته من تجاوزات يفترض أن القانون يجرّمها، خاصة وأن نفس التجاوزات تجري في الوزارة المعنية نفسها كل سنة، على نحو ما ذكرنا أعلاه.

ولم نر إحالة أحد من المسؤولين عن تلك المخالفات إلى النيابة العامة، ومن ثم إلى القضاء، لمساءلته على أوجه الهدر المالي وتبذير المال العام، وعدم التقيّد باللوائح والضوابط التي تنظم شؤون الإدارة والصرف في الدولة.

وأكثر من ذلك، فإنه ومع تعاقب الفصول التشريعية لمجلس النواب لم يبادر المجلس في أي دور من أدوار انعقاده في هذه الفصول التشريعية لتوظيف ما يوفره التقرير من وقائع قد لا تتمكن حتى لجان التحقيق النيابية من الوصول إليها، من أجل استجواب الوزراء المعنيين أو حتى طرح الثقة فيهم. فالأمر ينحصر في تصريحات نيابية متكررة تدين أوجه الفساد التي يكشف عنها التقرير لحظة صدوره وينتهي الأمر بعد ذلك، ويذهب التقرير إلى الأرشيف بجانب النسخ السابقة منه.

السلطة التشريعية مطالبة، قبل سواها، بالعمل على إيجاد آليات محاسبة من أجل تحقيق الغاية من وراء تشكيل ديوان الرقابة ومن التقارير السنوية التي يصدرها.

المنبر التقدمي يتضامن مع انتفاضتي الشعبين العراقي واللبناني ويدين قمع المتظاهرين

عبّر المنبر التقدمي، في بيانين منفصلين، عن تضامنه مع انتفاضتي الشعبين الشقيقين في العراق ولبنان ضد منظومة الفساد ونظام المحاصصة الطائفية.

وقال التقدمي في بيانه التضامني مع شعب العراق: «تشهد شوارع العراق احتجاجات شعبية واسعة مستمرة منذ ايام، تعبيراً عن حالة السخط التي تسود في أوساط الجماهير الشعبية لما آلت إليه أوضاعها المعيشية من تردٍ جراء الفساد المستشري ونهب المال العام والمحاصصة الطائفية، وتغليب الانتماءات المذهبية والطائفية والمناطقية على مبدأ المواطنة والسيادة الوطنية.

وأضاف البيان: «ورغم هذه المطالب المشروعة للمحتجين، وبدلاً من السعي لتلبيتها، وضمان حق المواطنين في الاحتجاج والتظاهر، عمدت السلطات إلى انتهاج سياسة العنف والبطش غير المبررين مع المحتجين، مسخرة الأجهزة الأمنية ضد جماهير شعبها، التي لم تطالب بأكثر من حقها في المواطنة الكريمة، مما أوقع، حتى الآن، عشرات الشهداء ومئات الجرحى والمصابين وآلاف المعتقلين.

وفي بيانه التضامني مع شعب لبنان وجه «التقدمي» التحية لانتفاضة الشعب اللبناني الشقيق ضد منظومة الحكم الفاسدة، المعبرة عن مصالح الفئات والقوى المتنفذة في الطوائف المختلفة في البلاد، التي تتحد، رغم ما بينها من تباينات، ضد مصالح الفئات الفقيرة والكاحة على امتداد الوطن اللبناني كله.

وأكدّ التقدمي على أن «ما يجري في لبنان اليوم من غضب شعبي عارم عمّ كل المناطق لدليل جديد على النتائج المدمرة لاتباع وصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وسواهما من المؤسسات المالية العالمية التي تقيد البلدان بالديون وفوائدها المرتفعة، وتفرض إجراءات صارمة تستهدف لقمة عيش المواطنين وكرامتهم.

كما توقف البيان أمام ما «يستتبع ذلك كله فرض المزيد من الرسوم والضرائب على الفئات الفقيرة، وكان آخرها في لبنان ضريبة استخدام وسائط الميديا، التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، بينما يغض الطرف عن الفاسدين والمتنفذين المتحالفين مع مراكز القرار السياسي، وعن سرقات المال العام المستمرة من رموز وأركان هذا النظام.

وأكدّ التقدمي في بيانيه أن تجربتي العراق ولبنان، أثبتتا "أن الحكومات التي تبنى على المحاصصة الطائفية، لا على معايير الكفاءة والنزاهة والإخلاص هي، بالضرورة، حكومات فاسدة، لا تكترث بتنمية المجتمع والوطن وتلبية احتياجات المواطنين، وتشجع الرشى والمحسوبيات، وتعكس بطبيعتها سياسة الولاء والارتهان للطائفة حتى في تفاصيل الأداء الحكومي مثل تنفيذ مشاريع البنى التحتية والتوظيف واصدار التراخيص وتوفير الخدمات العامة وغيرها، مما ينجم عنه المزيد من البطالة وسوء الخدمات، بما في ذلك أكثرها أهمية مثل الكهرباء والماء.

وأعلن "التقدمي" عن وقوفه مع حق الشعب العراقي في الاحتجاج والتظاهر السلمي، وهو الحق الذي تكفله كافة العهود والمواثيق الدولية كوسيلة وضمانة سياسية ومجتمعية ضد أشكال الإضطهاد والظلم، وإدانته أشكال القمع والعنف الدمويين ضد المحتجين، مناشدا إياهم، في الوقت نفسه، إلى التزام السلمية في تحركهم وعدم الإنجرار إلى دعوات العنف لما يترتب على ذلك من فوضى.

كما عبرّ

كل القوى الوطنية والتقدمية وكافة الشرفاء الداعمين لهذه الإنتفاضة، والحريصين على حمايتها من التجاذبات الإقليمية ومن المساعي المشبوهة لحرفها عن مسارها بدفعها نحو الإصطفاف الطائفي البغيض الذي ستكون آثاره وعواقبه كارثية.

..ويدين العدوان التركي على سوريا

يتابع المنبر التقدمي في البحرين بقلق واستنكارشديدين الحرب العدوانيةالتي تشنها القوات التركية على الأراضي السورية، مؤكدا على أن ما أقدمت عليه تركيا من اعتداء سافر يعبر عن طبيعة النظام التركي وأطماعه التوسعية وتوقه إلى لعب دور شرطي المنطقة، مفصحاً عن عدائه المتأصل للحقوق القومية للأكراد داخل تركيا نفسها.

ولا يمكن أن نسقط من الحساب أن تركيا عضواً في حلف"الناتو" حتى هذه اللحظة رغم دورها التخريبي في الأزمة السورية ومسؤوليتها، مع أطراف أخرى، عن إشعال الحرب الأهلية هناكوالمستمرة منذ ثمانية أعوام، وبات مكشوفاً للرأي العام التنسيق بين واشنطن وأنقره في شنّ هذه الحرب، حيث سحبت إدارة ترامب القوات الأمريكية من شمالي شرق سوريا لتمهدّ الطريق أمام القوات التركية الغازية.

كما أصبح جلياً سعي تركيا لتخفيف القبضة على تنظيم داهش المحاصر بعد الضربات التي وجهت له في العراق وسوريا، حيث سهّل الغزاة الأتراك للأسرى من مقاتلي داعش الهروب من السجون والمخيمات التي كانت تديرها "قوات سوريا الديمقراطية"، فضلاً عن إعادة تنشيط الخلايا النائمة للتنظيم في المنطقة لتعاود نشاطاتها الإجرامية، مما يكشف مجدداً عن دور تركيا في إنشاء هذا التنظيم وتدريبه وتمكينه، تحت سمع وبصر المجتمع الدولي.

لقددفع الشعب السوري، ولا يزال يدفع، ثمن هذه الحروب المدمرة من دماء أبنائه، حيث سقط مئات الآلاف من الشهداء،فضلاً عن ملايين المشردين، ودمار البنية التحتية ما انعكس على الاقتصاد السوري بصورة سلبية، وقبل هذا كله وبعده انتهاك السيادة الوطنية للأراضي السورية، واستهداف سلطة الدولة.

إن المنبرالتقدمي في البحرين إذ يدين الاعتداء التركي على الأراضي السورية، يعرب عن تضامنه مع الشعب السوري بمختلف قومياته وانتماءاته العرقية، ويضم صوته إلى كل الشرفاء والأحرار في العالم في مطالبة المجتمع الدولي باتخاذ خطوات عاجلة وتحمل مسؤولياته لوقف العدوان.

المنبر التقدمي
١٤ أكتوبر ٢٠١٩

في اليوم العالمي للقضاء على الفقر
«التقدمي» و«القومي» يدعوان الدولة لسياسات شفافة لمكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية

يصادف يوم السابع عشر من شهرأكتوبر من كل عام، اليوم العالمي للقضاء على الفقر، اليوم الذي أقرّته الجمعية العامة للأمم المتحدة، قبل ما يزيد عن 27سنة، لمناهضة الفقر، باعتباره أحد أسباب امتهان الكرامة الإنسانية، وشكلاً من أشكال التمييز بين البشر، عانت منه الغالبية الساحقة من الطبقات الكادحة والعاطلين والمهمشين وضحايا الحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية. ويرى التجمع القومي والمنبر التقدمي في البحرين أن جميع هذه الأسباب ناتجة بالدرجة الأولى عن غياب العدالة الاجتماعية وسوء التخطيط الاقتصادي والإستئثار بالثروة الوطنية وعدم حماية الفئات والشرائح المهمشة،وتوفير الضمانات في الفرص المتساوية لجميع فئات المجتمع، على حد سواء، دون اعتبار لانتماءاتهم الطبقية والعرقية والدينية والقومية.

إن ناقوس خطر الفقر يدق أجراسه في مملكة البحرين، بعد أن بلغ مراحل متقدمة، فهو لا يتمثل فقط في مستوى المعيشة في البحرين، والتي هي على كل حال، الأدنى على المستوى الخليجي، وإنما يتمثل أيضاً في غياب الفرص المتساوية في التعليم والصحة وارتفاع مؤشر الفساد وانتشار البطالة وغياب التخطيط الإستراتيجي، بمافي ذلك ضبابية خطة التنمية المستدامة في رؤية 2030.

وفي ظل تغييب متعمد لتعريف واضح للفقر ومستوى خط الفقر في البحرين وعدم الاعتراف الرسمي بوجوده، أغرق كاهل المواطنين بالكثير من الأعباء الثقيلة ومن بينها الديون، وزاد بصورة مضطردة عدد العوائل التي تعتمد في حياتها على المعونة المالية، لسد حاجاتها اليومية الأساسية، عدى عن تفشي البطالة وتدني مستوى الدخل، حتى بات الكثيرون تحت مستوى خط الفقر. فوفقاً لأرقام رسمية هناك أكثر من 4 آلاف بحريني يتقاضون رواتب تقل عن 200 دينار، فضلاً عن نحو 22 ألف عائلة تتلقى علاوة الغلاء و15 ألف أسرة تحت مظلة المساعدات الاجتماعية.

إن سياسات الدولة النيوليبرالية التي فتحت السوق أمام منافسة الرأسمال الأجنبي حتى في الأنشطة والحرف البسيطة التي يتملكها المواطنين، وفتحت أسواق العمل أمام تدفق العمالة الأجنبية الرخيصة، ناهيك عن سياسة التجنيس، إن هذه السياسات باتت تطال بتأثيراتها البالغة الخطورة ليس محدودي الدخل فحسب، بل وحتى شرائح الطبقة الوسطى مما يوسع من شرائح الفئات المهددة بالولوج إلى ما دون خط الفقر.

إننا نرى بلادنا تلجأ إلى حلول ترقيعية غير ناجزة، وتتبنى سياسة لا تخدم سوى فئات وشرائح اجتماعية أبعد ماتكون عن الحاجة للدعم، مثل سياسة تشجيع القطاع الخاص على المحاصصة النفعية أو الانفتاح على الشركات الأجنبية، وتوفير كافة السبل لتمكينها من السوق المحلي، بما في ذلك دعمها مادياً واستيراد القوة المنتجة غير الضرورية، التي بدل أن تساهم في سدّ النقص وتوفير فرص العمل وتراكم الخبرات، خلقت أزمات مفصلية زادت من تفشي الفقر مثل البطالة وهجرة رأس المال إلى الخارج، وانحسار دور المواطن في صنع القرار الوطني. إن جمعيتي المنبرالتقدمي والتجمع القومي في هذه المناسبة تدعوان إلى وضع برنامج وطني لمعالجة الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها البلاد منذ سنوات، وسياسات شفافة ومحوكمة لمكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية وإقامة الدولة المدنية القائمة على المواطنة المتساوية عبر تمكين المواطنين من المشاركة الفعلية في القرار الرسمي بصفاتهم الأصلية والاعتبارية من خلال مكوناتهم السياسية وإطلاق الحريات السياسية، كذلك عبر بناء مؤسسات تشريعية تتمتع بصلاحيات فعلية حقيقية وأجهزة حكومية كفؤة ونزيهة. كما تؤكد الجمعيتان على ضرورة تحقيق تفاهم مجتمعي حول خط الفقر أخذاً بعين الإعتبار خصائص بلادنا ومنطقتنا، وتحديد الحد الأدنى الضروري للمعيشة والحد الأدنى للأجور بناءً على ذلك.

جمعية المنبر التقدمي
جمعية التجمع القومي
١٧ اكتوبر ٢٠١٩

فضفضة

لماذا يخشون التوطين؟!

عيسى الدرازي

دائماً ما كانت ردود الفعل الرسمية على الدعوات المنادية بتوطين الوظائف وإحلال العمالة الوطنية بالزعم أنها قد تؤثر سلباً على الاستثمارات الأجنبية، وأن ورأس المال الأجبي لا يفضل من يملي عليه الالتزامات وأن طبيعة المنطقة التنافسية تُحتم على المنامة أن تتخذ منحنىً تشجيعياً لاستقطاب الاستثمارات الخارجية دون أن يلتزم أصحاب هذه الأموال بعائدات تذكر اقصادية كانت أو حتى اجتماعية، حفاظاً عليها من أن تتسرب إلى أقرب أسواق الأعمال الجارة التي تتشابه طبيعتها الاقتصادية غير النفطية مع البحرين.

مؤخراً وغير بعيد عنا، أصدر نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، قرارات لدعم ملف التوطين، حيث أقرّ توفير 20 الف وظيفة في قطاعات البنوك والطيران والاتصالات والتأمين والقطاع العقاري خلال 3 سنوات، كما كان من ضمن القرارات التي أصدرها اعتماد صندوق بـ 300 مليون درهم لتدريب 18 ألف مواطناً إماراتياً، ووتخصيص جزء من عوائد الضريبة لدعم ملف التوطين وتدريب 8 آلاف مواطناً سنويا في القطاع الخاص بمكافآت مدعومة من الحكومة.

كما شملت القرارات قصر التوظيف في الوظائف الإدارية والإشرافية في القطاع الحكومي على المواطنين وتحديد 160 وظيفة في القطاع الخاص تكون الأولوية فيها لمواطني دولة الإمارات، إضافة إلى إقرار تعديلات قانونية من شأنها المواساة بين المواطنين في القطاعين الخاص والعام فيما يتعلق باحتساب راتب التقاعد وضمّ الخدمة، وبالمناسبة فإن هذه الأخيرة جرى الحديث عنها لدينا لمساواة المواطنين في القطاعين الخاص والعام في الميزات التقاعدية إلا أنها لازالت تواجه العراقيل لكامل إقرارها وتنفيذها.

الجدير بالذكر أن تصريحات نائب رئيس دولة الامارات نفت أن يتعارض ملف دعم التوطين مع الجهود المستمرة في استقطاب المواهب العالمية وأن دولة الامارات حسب وصفه «ستبقى بلد الانفتاح مشيراً إلى أن المواهب هي التي ترسح اقتصاداً قوياً متنوعاً يوفر فرصاً كبيرة للمواطنين والمقيمين».

لعل استجداء رأس المال الاجنبي لافتتاح المشروعات الاستثمارية في البلد لا يؤدي بالضرورة للغاية المرجوة من تلك الاموال الخارجية، بعكس تمكين رأس المال الوطني بل وحتى الخليجي الذي من الممكن أن يؤمن عوائد اقتصادية من جهة واجتماعية من جهة أخرى تسهم في تقليص شريحة العاطلين عن العمل أو أولئك الذي يعملون ما لا يحبون لضمان الحصول على راتب شهري.

قرارات نائب رئيس دولة الإمارات، حاكم إمارة دبي تنفي الإدعاءات الرائجة عندنا بأن منح المواطن البحريني أولوية في التوظيف من شأنه أن يخيف رأس المال الأجنبي، خاصة وأن الاستمارات الأجنبية في إمارة دبي تشكل نسبة كبيرة، فلا خوف من إعطاء البحريني الأولوية في التوظيف، ولا خوف من توطين بعض القطاعات التي من الممكن ان تغطيها شريحة العاطلين لسنوات مقبلة، لا خوف يصحّ من اعطاء البحريني الأولوية.

بتنظيم من قطاع المرأة

ندوة تناقش: أحقية البعثات كأداة للتنمية

استضاف قطاع المرأة وضمن أنشطة ملتقى التقدمي الأسبوعي كل من د. هدى المحمود والأستاذ محمد حسن العرادي في ندوة بعنوان: «أحقية البعثات كأداة للتنمية».

استهلت د. المحمود حديثها بتقديم لمحة تاريخية عن تطور التعليم بمختلف مراحله حتى التعليم الجامعي الذى كان نتاج إدخال نظام منح البعثات، وشرحت كيف أن إدارة البعثات في وزارة التربية لعبت، في السابق، دورًا مشرفًا من خلال اعتماد معدلات ونسب التحصيل الدراسي بين أبناء وبنات البحرين معيارًا دون تمييز، فشكّل ذلك رافعة قوية أسهمت في دعم الوحدة الوطنية في البلاد، ونجحت الوزاره والروابط الطلابية في الخارج ومن ثم فروع الإتحاد الوطني لطلبة البحرين في فتح آفاق الدراسة الجامعية أمام أبناء وبنات البحرين.

وأشارت د. المحمود إلى أن نظام البعثات لم يكن حينها يعير اهتمامًا للإنتماء الطائفي، لكن مع مرور الوقت حصلت متغيرات في نظام البعثات واختلفت المعايير، حيث شهدنا ردةً وتراجعًا ادى إلى تخريب نظام البعثات وانعكس ذلك على مخرجات التعليم مما ستكون له آثاره السلبية على التنمية ومستقبل الأجيال.

من جانبه قدّم الأستذ محمد حسن العرادي إضاءات على الموضوع، مؤكدًا أن اختلال المعايير في نظام البعثات سينال من وحدة المجتمع، وسيضرّ بمستقبل أجياله ويعيق تقدّم الوطن وتنميته.

واستعاد العرادي تداعيات استهداف الإتحـاد الوطني لطلبة البحرين، وخاصة أقوى فرعين فيه وهما فرعا القاهرة والكويت بتأسيس أندية طلبة البحرين في الخارج، وما استتبع ذلك من اجراءات كالمنع من السفر مما أضرّ بمستقبل الكثير من الطلبة الجامعيين وحال دون استكمالهم لدراستهم.

وأوضح العرادي أنه وتحت تأثير بعض التطورات الإقليمية ومن بينها قيام الثورة الإيرانية في عام 1979 شهدنا طأفنة ملف البعثات، علاوة على تسييسه، حيث بدأت وزارة التربية في إعادة توجيه البعثات وفق الإنتماءات السياسية والمذهبية دون الإلتزام بالمعايير العلمية والمعدلات الدراسية التي ينالها الطلبة، وكان لهذا النهج أثرًا تدميريًا على مخرجات التعليم الجامعي وعدم توافقها مع متطلبات سوق العمل، مما أدى الى الى إحداث فراغ مهني كبير في هذه السوق، وحدا بالدولة إلى التعاقد مع العديد من العرب والأجانب لسد العجز في بعض الوظائف التي تتطلب تخصصات مهنية، كما ساهم في شدة الأزمات الإجتماعية ومضاعفة نسب البطالة بين الشباب البحريني.

خلص المنتديان، د. المحمود والأستاذ العرادي، إلى المطالبة بإعادة النظر في السياسة العامة للإبتعاث والنظر إليها بمعيار وطني حريص على بناء المستقبل والتنمية المستدامة.

عقب ذلك مداخلات من الجمهور، كان بينها مداخلة إحدى الأمهات التي حُرمت ابنتها من بعثة دراسية رغم أن معدّلها في شهادة الثانوية العامة بلغ 100٪، فيما ذهبت بعثات كثيرة لمن هم بمعدلات أقل بكثير، مما يشير إلى اعتماد معايير غير مهنية، وطأفنة توزيع البعثات.

قطاع المرأة يعزي برحيل الناشطة النسائية البارزة وداد المسقطي

* كتبت إيمان شويطر

كانت الراحلة العزيزة الأخت والزميلة وداد المسقطي رمزًا للعطاء حتى آخر رمق. كانت في عملها ومثابرتها امرأة ملهمة، ومشجعة لكل المبادرات من أجل تطوير العمل في سبيل حقوق المرأة البحرينية، ونموذجًا يعتد به في نكران الذات والتواضع والعمل الجاد.

وعلى ما كانت تتمتع به من معرفة ووعي وحصيلة واسعة من الأفكار والمعلومات، إلا أنها كانت أبعد ما تكون عن المباهاة والاستعراض. وكانت بحق أيقونة العمل من أجل التزام بلدنا باتفاقية "سيداو" والتقيّد ببنودها.

لقد تعلمنا الكثير من هذه المرأة المخلصة التي تركت لنا إرثًا غنيًا بالثقافة وبمعرفة أصول العمل النقابي والجماهيري وتقاليد النشاط الاجتماعي التطوعي، وهذا الإرث وما كانت عليه من مناقب سيجعل ذكراها حاضرة معنا دائمًا.

قطاع المرأة بالتقدمي يعزي بالفقيدة

وقد تقدّم قطاع المرأة في المنبر التقدمي إلى جمعية نهضة فتاة البحرين التي كانت الراحلة من وجوهها البارزة، وإلى أسرة الفقيده والى أفراد عائلة المسقطي الكرام بخالص العزاء والمواساة بفقيدة الحركة النسائية، والوجه البارز في العمل النسائي والتطوعي، داعين الله أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويلهم أهلها ومحبيها وزميلاتها الصبر والسلوان.

غسان الشهابي يحاضر عن المواطنة والقوى الوطنية في البحرين

استضاف ملتقى "التقدمي" الأسبوعي الباحث غسان الشهابي في محاضرة بتاريخ 13 أكتوبر 2019 عن "المواطنة والقوى الوطنية في البحرين .. تحديات مشروع الدولة الحديثة"، استعرض فيها دراسته حول الموضوع التي تضمنها كتاب (الثابت والمتحول – 2019، المواطنة في تيارات الخليج الصادرعن (مركز الخليج لدراسات التنمية)، وأعادت "التقدمي" نشر أجزاء منها في عدديها السابقين.

أشار الشهابي إلى أن فكرة المواطنة مجموعة من القيم الانسانية والدينية لتنظيم الرابطة السياسية، وضمان حق المواطن بالعيش والوظيفة وتتيح له بالانخراط المجتمع، وتكفل للفرد بالحرية الفكرية والحرية الشخصية ضمن قوانين متفق عليها بالمجتمعات الانسانية.

وإذا كانت فكرة المواطنة قد نشأت في المجتمعات الغربية في البداية، إلا أنها وصلت للوطن العربي عندما قامت الحركات والأحزاب الوطنية التي رفضت المستعمر، وتوحّد فيها هدف المواطن بالقيم السامية، حيث توقف الشهابي أمام بعض المفكرين العرب الذين كانت لديهم رؤية حول مفهوم المواطنة، مثل ساطع الحصري وقسطنطين رزق ومنيف الرزاز وغيرهم، كما أبرز الدور الذي اضطلعت به التيارات العلمانية والتقدمية القومية في التعريف بمفهوم المواطنة، وفي طرح مسألة حقوق الأقليات في إطار الدولة الوطنية.

وبرأي الباحث فإن التيارات الإسلامية بشقيها التي برزت بعد الثورة الايرانية في عام 1979 ابتعدت عن مفهوم المواطنة كعامل مشترك للجميع، بسبب اختلاف أولوياتها، وميلها لتمثيل طوائف بعينها، أكثر من اهتمامها ببعد المواطنة الشامل.

سلّط الشهابي الضوء أيضًا على اهتمام الدولة في البحرين بطرح مفهوم المواطنة في المناهج التربوية، حيث أُدخلت مادة التربية الوطنية بالمرحلة الاعدادية بهدف تعزيز فكرة المواطنة لدى الأفراد من وجهة النظر التي تعكس رؤية الحكومة، فأبرزت التواريخ والمناسبات الوطنية بالمناهج، ولكنها تحاشت طرح المنعطفات والتحركات السياسية ضد الاستعمار، كما أغفلت تاريخ الحركة الوطنية في البحرين، وبالمقابل مورست الرقابة على المطبوعات والإعــلام غير الحكومي لكي لا ينتشر الوعي السياسي والحقوقي.

وفد من «التقدمي» يزورالنقابي المخضرم محمد المرباطي

قـام عـدد من الرفاق والرفيقات من أعضاء المكتب السياسي واللجنة الاجتماعية في المنبر التقدمي بزيارة المناضل النقابي محمد المرباطي في بيته في حالة أبو ماهر بالمحرق يوم الاربعاء الموافق 16 أكتوبر 2019، للاطمئنان على صحته بعد تعرضه لجلطة أثناء تواجده في القاهرة في شهر يوليو الماضي لحضور حفل تكريمه من قبل منظمة العمل العربية بوصفه أحد الخبرات والكفاءات النقابية العربية، وتقديراً لنضاله النقابي طوال العقود الماضية على الصعيدين الوطني والعربي، وقد نقل الرفاق الزائرون للنقابي المرباطي تمنيات أعضاء «التقدمي» له بالصحة والعافية.

أزمات في الخليج العربي

جواد المرخي

إذا ما حللنا واقع دول الخليج العربي بطرق علمية في الجوانب المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، سنرى أن تأثير النظام الإمبريالي واضح على مجرى السياسات الخليجية بما فيها الجوانب العسكرية.

ومطامع الرأسمالية في دول الخليج لا تحددها مصالح ضيقة بل عميقة، حيث يراد لدول الخليج أن تكون خانعة ومستسلمة لتوجيهات النظام الرأسمالي العالمي وخصوصاً السياسات الأمريكية. لذا نجد أن خطوات سياسة العولمة واضحة تطبق بشكل واسع في دول الخليج في محاولة لابتزاز ثرواتها واستنزافها حتى أخرقرش من ميزانيات دول المنطقة.

من المشاكل التي تعاني منها دول الخليج أسلوب الإنتاج المتخلف وحجم الفساد المالي والإداري الذي ساهم كثيراً في إهدار ثروات الخليج بما فيها التعدي على صناديق الأجيال جراء تفاقم الدين العام للمؤسسات المالية الدولية.

وتواجه بلداننا مخاطر الدخول في أزمات طويلة بسبب سياسات النافذين المهيمنين على الثروات والأراضي والزراعة والبحار والاستثمار، وبسبب عدم بناء قاعدة اقتصادية وطنية استفادة من ثروات النفط التي ذهبت ولا تزال للنافذين والشركات الرأسمالية الأجنبية، إضافة إلى الاعتماد على العمالة الأجنبية بل ايضاً توطينها لمزاحمة شعوب المنطقة في الرزق مع تكاثر الفقر والبطالة خصوصاً مع رفع الدعم عن العديد من المواد التي كانت مدعومة من الحكومات وزيادة الأسعار الجنونية وتدني الرواتب.

إن اتباع سياسات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي واستشارات مؤسسة مكانزي قد اوصل شعوب المنطقة لحافة الفقر جراء الضرائب الكبيرة وخصخصة مؤسسات القطاع العام والشركات الوطنية، وتزداد مخاطر الخلل الاجتماعي إذا استمرت شعوب الخليج هي من تدفع فواتير عجز الموازنات جراء حجم الديون الدولية.

وطبيعي أن المتضرر من هذه الأوضاع هم العمال وسائر الكادحين خاصة مع انخفاض الدعم المالي للمؤسسات الخدماتية مثل الصحة والتعليم والإسكان والبنى التحتية، مع تهميش المواطن الخليجي وابعاده عن المساهمة في صنع القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتجاهل أن الشعوب هي مصدر السلطات، وهو مبدأ تقرّه الدساتير في بعض دول مجلس التعاون والحقوق والمواثيق الدولية.

ولن يجدي الهروب من الإفصاح عن هذه المشاكل، وإغلاق المجال الإعلامي بوجه القوى المجتمعية الفاعلة في إخفاء حقيقة أن المستقبل يخبىء لنا ما يبعث على القلق.

عبدالنبي سلمان
يسأل رئيس الوزراء عن رؤية 2030

استنادًا إلى المادة 91 من الدستور والمادة 133 من اللائحة الداخلية لمجلس النواب تقدّم عضو كتلة»تقدّم» النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان بسؤال برلماني إلى رئيس الوزراء صاحب السموالملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة حول رؤية البحرين الاقتصادية 2030 المعلنة منذ عام 2008 والمراحل التي قطعتها الدولة في تحقيق أهداف هذه الرؤية.

وبيّن سلمان إنه انطلاقًا من الدور الرقابي لمجلس النواب فإن هناك حاجة لاستيضاح ما تمّ انجازه من مراحل رؤية البحرين الاقتصادية 2030، وما تعذّر تحقيقه، والأسباب وراء ذلك.

وأضاف: إن السؤال يتضمن أيضًا بيان ما إذا كانت هناك تعديلات على الرؤية نتيجة بعض المتغيرات على المستويين التنموي والاقتصادي، وكيفية تنفيذ برامج وتوجهات الرؤية نحو تحقيق مبادئها المتمثلة في الإستدامة والتنافسية والعدالة.

يوسف زينل: يجب تحويل الملتقى الحكومي فرصة لجردة حساب لأداء الجهات الحكومية

قال عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل «نأمل أن نشهد مصارحة حقيقة لملفات التعليم والصحة والإسكان والعمل.. فالانتقادات تترى.. والمعالجات ضرورة، في إطار تعليقه على النسخة الرابعة من الملتقى الحكومي، مؤكدًا على أهمية أن يكون الملتقى محطة مصارحة ومكاشفة، وتقييم فعلي لأداء الجهات الحكومية، تحديداً تلك المرتبطة بشكل مباشر بمصالح الناس والخدمات المقدمة لهم.

وأشار زينل إلى أن قطاعات التعليم والصحة والإسكان تحتل أولوية لدى المواطنين، وعطفاً على ذلك نرى أهمية إيلائها اهتماماً كبيراً ومساحة بارزة ضمن نقاشات الملتقى، وما سينتهي إليه من نتائج وتوصيات.

وحول التعليم أكدّ النائب زينل على أنه «في مئوية التعليم، يبدو هذا القطاع بحاجة أكثر من أي وقت مضى للتقييم الشامل بكل موضوعية وتجرد، فبالرغم من أن البحرين قطعت أشواطاً جيدة، لكننا أمام عددٍ من الملفات المعلقة، كما هو الحال مع موضوع البيئة المدرسية التي تبدو بحاجة لتأهيل بما في ذلك إنهاء مشكلة الصفوف الخشبية واكتظاظ الصفوف.. وعدم مواءمة مخرجات التعليم مع احتياجات سوق العمل، ورد الاعتبار للمعلم البحريني.

وانتقالاً إلى قطاع الصحة، تطرق زينل إلى القضايا المتكررة والتي تشير إلى تدني مستوى الخدمة الصحية، بما في ذلك ندرة الأدوية وتأخر المواعيد، والحاجة إلى بحرنة القطاع الصحي بإحلال المواطنين محل الأجانب.

كذلك تحدث زينل عن مشكلة البطالة على مستوى القطاعين العام والخاص، التي تتطلب وضع معالجات واقعية تنزع فتيل تهديد السلم الاجتماعي.

واختتم زينل حديثه، بالإشارة إلى ثالث القطاعات الحيوية، متمثلاً في قطاع الإسكان، حيث قال: إن هذا الملف بحاجة لحلول غير تقليدية لا تفرط في حق المواطن الدستوري في الحصول على السكن اللائق وتقي البلد تراكم الطلبات عاماً بعد عام.

باقتراح من «تقدّم» وتأييد واسع مِن الأعضاء

مجلس النواب يصدر بيانا ضد استضافة الصهاينة في البحرين

بمبادرة من كتلة «تقدّم» وبتأييد عدد كبير من أعضاء المجلس، صدر عن مجلس النواب بيانًا يطالب الدولة بمنع استضافة وفد إسرائيلية في البحرين، انسجامًا مع موقف شعب البحرين الذي لا يمكن أن يقبل بخطوات تطبيع مع الكيان الصهيوني، وهو الخيار الذي تدفع إليه المنطقة قسرًا.

وفيما يلي نص البيان:

«يؤكد مجلس النواب الموقف البحريني، الثابت والراسخ، في دعم القضية الفلسطينية، ووقوفه الدائم مع تحقيق تطلعات الشعب الفلسطيني، وإقامة دولته المستقلة، وعاصمتها القدس الشرقية، وفقا لمبادرة السلام العربية، وطبقا للقرارات الأممية ذات الصلة.

ويعرب المجلس عن رفضه لزيارة أي وفد إسرائيلي لمملكة البحرين، الأمر الذي يتعارض مع مبادئ وقيم الشعب البحريني، الذي يرفض رفضا قاطعا كافة أشكال التطبيع مع من يحتل الأراضي الفلسطينية، ويمارس كل صور التجاوز والاعتداء وأبشع الجرائم الإنسانية ضد الشعب الفلسطيني.

إن مجلس النواب، وإذ يدعو حكومة مملكة البحرين لتعزيز الموقف البحريني، التاريخي والأصيل، لمناصرة فلسطين وشعبها، فإنه يطالب المجتمع الدولي لاتخاذ كافة الإجراءات القانونية التي تحمي الحق الفلسطيني، وتحترم قرارات الأمم المتحدة، وتدعم كافة جهود السلام العادل والشامل».

مطرقة البرلمان

متى نستعيد مجتمعنا المدني؟!

عبد النبي سلمان

في كل المجتمعات، وليس مجتمعاتنا العربية وحدها، لا تكتمل صورة ونضج المشهد العام إلا بوجود مجتمع مدني نشط وفاعل، مجتمع مدني يعرف ماذا يريد، وكيف يستخدم مختلف الأدوات الدستورية والنضالية بشكل سلمي وصولا لتحقيق غايات وأهداف مجتمعه الطامح دومًا لمزيد من الحريات والحقوق والمطالب العادلة للجميع.

فعلي سبيل المثال تضطلع الطبقة العاملة والنقابات على وجه التحديد بدورٍ محوري في قيادة وتأطير النضال المطلبي العمالي واسناد ودعم العمل الجماهيري وصولًا لأهدافه المرجوه، وبالمثل تلعب النخب الثقافية والمجتمعية من مثقفين وأدباء وفنانين ومفكرين وخبرات وقادة رأي أدوارًا مهمة في زيادة جرعات الوعي وسط الجماهير التي تحتاج دائمًا إلى قيادات حقيقية وواعية، ليس لها من همّ سوى السعي بجلد ومثابرة مع الجماهير لتحقيق طموحاتها في حياة افضل.

المتابع المتجرد للشأن العام في البحرين يكاد يتلمس بوضوح مدى الفراغ الحاصل في أدوار ومهمات مؤسسات المجتمع المدني في متابعتها لغالبية قضايا الشأن العام،على الرغم من حجم القضايا التي تعجّ بها الساحة في البحرين، فهناك العديد من القضايا والمشكلات التي تحتاج إلى اهتمام ومتابعة من قبل المهتمين.

فالقضايا المعيشية والاجتماعية والاقتصادية على كل ما تحمله من تعقيدات ومخاوف حقيقية ينظر لها السواد الأعظم من الناس بعيونٍ وقلوب متوجسة، ومثلها القضايا المعيشية وقضايا العمال والنقابات على كثرتها وحجم تعقّيداتها لا تلقى للأسف عناية خاصة من جموع النقابيين في غالبية النقابات والاتحادين اللذين يبدو أنهما انشغلو أو تشاغلو بقضايا واهتمامات جانبية وهامشية زادتهم ابتعادا عن جوهر مهماتهم التي فرغوا من اجلها.

هذا ما نستشعره، على الأقل، بكل اسف داخل مناقشات ومداولات لجان وجلسات مجلس النواب ونحن نتلمس الحاجة لسماع ومعالجة قضايا الشأن العام المختلفة، حيث تتقلص وتتلاشى مساحات التواصل بين غالبية مؤسسات المجتمع المدني والسلطة التشريعية، لتفصح السلبية عن نفسها في معظم القضايا التي نحتاج فيها إلى اسناد حقيقي من أصحاب الشأن في مختلف القضايا الاقتصادية والمعيشية والثقافية والعمالية وقضايا المرأة والشباب، اصحاب المصلحة المباشرة، لذلك تلجأ بعض قيادات تلك الجمعيات للحديث معنا إما بشكل منفرد وخجول أو عبر تكليف شخصي لرفع العتب كما يقال، وبالمثل تتواصل معنا بعض القيادات النقابية بعيدًا عن اتحاداتها وأطرها المنتخبة معبرة أحيانا عن يأسها من تلك الأطر التي أضحت موزعة بين نوازعها وهواجس بعض قياداتها التي لا تنتهي.

خلاصة القول، مؤسسات مجتمعنا المدني من جمعيات مهنية ونقابات وغيرها بحاجة ماسة إلى مراجعات جدية لمسارات ومنهجية عملها نحو خلق محفزات حقيقية تمكنها من الاضطلاع بدور أكثر ايجابية في أداء مهماتها الوطنية المنتظرة، والتي لا غنى لمجتمعنا عنها، وبكل تأكيد لا غنى لبرلماننا عن اسنادها ودعمها.

بخصوص رد الحكومة على المقترح بشأن تدريب البحرينيين

فلاح هاشم: لا يوجد أي تصور حكومي لخطةٍ من هذا النوع

في تعليقه على رد الحكومة على المقترح مقترح بشأن تقديم الحكومة لخطة تدريب وتأهيل بحرينيين وإحلالهم مكان العمالة الاجنبية خلال 4 سنوات، قال عضو كتلة «تقدّم» السيد فلاح هاشم: «جاء في الرد سرد لمجموعة من برامج التدريب والتأهيل واستعراض أرقام وإحصائيات عن الدورات التدريبية في القطاعين العام والخاص وجهود «تمكين»، والمبالغ التي صرفت عليها منوهاً بمستوى الشهادات الاحترافية لبعض البرامج منذ عام 2011 وصل عددها لـ 20 الف شهادة إحترافية استفاد منها 15 الف مواطن»، لكن اتمنى ألا تكون معظم هذه الدورات كالعديد من الدورات التي أحمل في يدي شهادات للعديد من الباحثين للعمل من ضمنهم الدورة التي عقدت لمجموعة من الباحثات عن العمل لمدة 5 شهور (برنامج جودة التعليم) ابتداءً من اول ديسمبر 2012 الى نهاية ابريل 2013 وكانت نتيجتها (صفر).

هذا مثال لواحدة ممن التحقوا بهذه الدورة، وهي خريجة جامعة البحرين منذ عام 2008، حيث وعدوها فيها بالشهادات الاحترافية والعمل رغم أن الشهادة الاولية من المعهد تشير الى إستحقاقهم شهادة احترافية من مؤسسات عالمية والنتيجة فقط إفادة من وزارة العمل تفيد أنها أنهت هذه الدورة دون الشهادة الإحترافية، وهي إفادة ترفض الجهات الرسمية من ديوان الخدمة المدنية وغيره الاعتراف بها والنتيجة تعطل هذه المجموعة عن العمل، و من حصلوا منهم على عمل فليس في مستوى تحصيلهم العلمي أو تخصصهم

وخاطب هاشم الحكومة قائلاً: كيف تقنعوننا بأن خريج جامعة البحرين في البزنس او المحاسبة أو غيرها من الدراسات ولمدة ما يربوا على الخمس سنوات يحتاج لدورة لمدة لاتتجاوز 30 الى 60 ساعة ليتعلم الإنجليزية والكمبيوتر او غيرها من الدورات الأساسية؟

وقال أيضًا: رد الحكومة يتحدث عن مشاريع التدريب التي التحق بها عشرات الالاف من الباحثين عن العمل والموظفين والتي ذكرتها بالآلاف، إلا أنها عند بند التوظيف تتحدث عن العشرات. ولا يقتصر الأمر على أصحاب المؤهلات والخبرات العالية، وانما حتى بعض الوظائف البسيطة كالبستاني والحرفيين من مركبين ولحامين وكهربائيين وسباكين وفنيي هندسة مدنية وفنيي كمبيوتر وغيرهم ممن المعطلين قسراً رغم تخرجهم من جامعات تفتخر كل البحرين بها عدا المعنين في الديوان ووزارات الدولة المعنين بالتوظيف والدليل أن هؤلاء المؤهلين لا يجتازون المقابلات المعدة من ديوان الخدمة أو الوزارات رغم تخرجهم من مقررات جامعية وبمعدلات عالية!

زينل ينتقد أسلوب هيئة الكهرباء في قطع التيار الكهربائي عن منازل المواطنين

على صعيد آخر وجه وجه النائب يوسف زينل نقداً لأسلوب موظفي هيئة الكهرباء والماء، بقطع التيار الكهربائي عن بيوت وعقارات المتخلفين عن السداد.

وقال: «يتكررقيام الموظف دون إشعار من في البيت أو العقار بنيته قطع التيار، بل يصل الأمر إلى دخول المكان دون استئذان أصحابه، في سلوك مستهجن لا يليق بجهة حكومية معنية في المقام الأول بخدمة الناس، دون اكتراث بالأضرار التي قد تنجم عن ذلك، في حال وجود مرضى داخل البيت، أو في حال الإضرار المادي بصاحب العقار في الحالة التجارية، والمستفز في الموضوع، حسب زينل، هو صعوبة إعادة التيار حتى بعد تسوية الموضوع مع الهيئة مقابل تلقائية القطع.

وأكدّ زينل على أنه يعمل على صياغة مقترح بقانون يقنن عملية القطع هذه ويضع ضوابط لها بما يحفظ للدولة حقها من جانب ويحول دون الإضرار بالناس من جانب آخر، ويشتمل على منع قطع التيار الكهربائي عن فئات محددة، تشمل المتقاعدين والأرامل والأيتام وكبار السن.

ويهدف هذا المقترح إلى منع القطع في أشهر الصيف، وأن يتم في حالات محددة وبأمر قضائي، منعاً لترك الأمر كما هو حالياً بأيدي الموظفين (عبر قرارات إدارية)، وبشكل ينتهي إلى إذلال المواطنين.

«تقدّم» تدعم خطوات البحرنة في الصحة وتطالب بالمزيد في مختلف الوزارات والقطاعات

أكدت كتلة "تقدّم"، في بيان أصدرته، على أهمية التوجهات التي أعلنتها وزارة الصحة للدفع بمزيد من الخطوات المسؤولة نحو تعزيز مسيرة البحرنة في الوزارة.

وقد جاء إعلان الوزارة يوم أمس عن التوجه لتوظيف 200 ممرضا وممرضة الشهر القادم والذي لاقى ترحيبًا لدى قطاع مهم من شباب وشابات الوطن.

من جانبنا، فقد سعينا في كتلة "تقدّم" على مدى الشهور التسعة الماضية بدون كلل مع قيادات عليا في وزارة الصحة والحكومة لتثبيت حق جميع البحرينيين من الكفاءات في العمل في مجالات التمريض والطب والعلاج الطبيعي وطب الأسنان، وغيرها من المهن الصحية، وسنواصل طريقنا لدعم تلك الشرائح من الكفاءات البحرينية في مختلف المهن والتخصصات باعتبار ذلك حقًا لهم، وواجبًا علينا وعلى الدولة أن نتحمله أمام الجميع.

وآملت "تقدّم" في بيانها أملنا أن تحذو الوزارات والهيئات الرسمية الأخرى وكبرى الشركات الوطنية في البحرين حذو وزارة الصحة وذلك بتحمل مسؤولياتها في دعم الكفاءات الوطنية من الشباب البحريني في جميع التخصصات العلمية والفنية والمهنية، وسط التغوّل غير المسبوق للعمالة الأجنبية وهيمنتها على سوق العمل، بما يعنيه ذلك من مخاطر اجتماعية واقتصادية ومعيشية علينا جميعا التنبه لها جيداً والتشارك بمسؤولية ووطنية في إيجاد الحلول السريعة لها، كما فعلت ذلك غالبية شقيقاتنا من دول مجلس التعاون".

فلاح هاشم

ردود الحكومة على اقتراحات النواب (الإسكان مثالاً)

في جلسة مجلس النواب الثانية من الدور الثاني للفصل التشريعي الخامس المنعقدة بتاريخ 15 اكتوبر 2019 تمّت مناقشة رد الحكومة على 20 اقتراح برغبة من مجموع 46 اقتراح تقدّم بها أعضاء مجلس النواب في الدور الأول، والتي تابعها المواطنون.

جاءت معظم إجابات الحكومة بخصوص ما تقدّم به النواب من اقتراحات برغبة مخيبة للآمال، حيث تنوعت هذه الرغبات في تعبيرها عن مطالب المواطنين بخصوص ما يواجهونه من مصاعب في حياتهم، وتطلعاتهم في الحصول على الخدمات أو حقهم في العمل مثل الخدمات الصحية ونقص الأدوية، والإسكان وتكدّس الطلبات الإسكانية وحصول الباحثين عن فرصة عمل في وزارات الدولة رغم الآلالف من الوافدين الذين يشغلون الوظائف بدلاً من المواطنين.

وقد جاءت تغطيات الصحافة وتعليقات المواطنين على ردود الحكومة متوافقة مع ما أبداه النواب من استياء شديد لعدم تعاون الحكومة في الإستجابة إلى هذه الطلبات، حيث سادت الردود لغة تبريرية، وكان من بين هذه المقترحات 4 مقترحات خاصة بوزارة الإسكان، سنتتطرق هنا إلى ردود الحكومة عليها.

ففي رفضها لمقترح رفع سن طالب الخدمة الإسكانية وفق برنامج السكن الاجتماعي،أجابت الوزارة بحجة أن رفع سن المؤهل للانتفاع سيؤدي الى خفض مدة السداد التي تربطها ببلوغ المواطن بالسن التقاعدي 60 عامًا، ولا نعرف على أي أساس بنيت هذه القاعدة، رغم أن البنوك التجارية تسمح بالقروض لغاية سن 65 عامًا، وبعضها سن 67 عامًا، وهى التي ستمول هذه القروض دون ان تأخذ في الاعتبار أن سبب تعدي المواطنين لهذه السن هو عجز الوزارة عن تلبية طلبات المواطنين المعطلة لديها لأعوام طويلة تمتد لما يزيد عن العشرين عاما لعدد ليس بالقليل من أصحاب هذه الطلبات.

أليس من مهمات الدولة من خلال أجهزتها المعنية، وفي هذه الحالة وزارة الإسكان، الملزمة وفق الدستور بتأمين السكن للمواطنين من ذوي الدخل المحدود، التسهيل عليه لمعالجة اوضاعهم ام أنها تسلمهم وتتركهم فريسة للبنوك التجارية تنهش فيهم وتُكبلهم بقروضٍ بفوائد مرتفعة؟

النفيعي: الخطة الوطنية للتوظيف غائبة منذ ٢٠٠٩

أكثر من 400 ألف أجنبي في «الخاص»

كشفت لجنة التحقيق البرلمانية بشأن عدم قيام الجهات المختصة ببحرنة الوظائف في القطاعين العام والخاص عن غياب الخطة الوطنية للتوظيف منذ 2009، مؤكدة وجود أكثر من 400 ألف عامل في القطاع الخاص.

وأكدّ رئيس اللجنة النائب إبراهيم النفيعي أن ما ورد من معلومات في رد الوزارة أثار استغراب النواب نظراً لوجود أعداد كبيرة من المهندسين وخريجي تخصصات الحقوق وعلم الاجتماع وتقنية المعلومات على رأس قوائم الباحثين عن عمل. وأكد مطالبة اللجنة بأن يتم تغيير سياسة الوزارة في استيعاب الباحثين عن عمل من أصحاب التخصصات المختلفة، وإيجاد البدائل والحلول السريعة والمناسبة لحل مشكلة العاطلين، خصوصاً وأن عدداً منهم على قوائم الانتظار منذ فترة غير قصيرة.

وأشار إلى أن اللجنة بحثت رد الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي بخصوص عدد الأجانب الموجودين في القطاعين العام والخاص، حيث اتضح أن في القطاع الخاص أكثر من 400 ألف عامل.

وطالبت اللجنة بضرورة أن تبدأ الحكومة بصورة جدية في تفعيل ما تم التوافق عليه في برنامج عمل الحكومة من إحلال للمواطنين في وظائف القطاع العام، مشيراً إلى أن النواب في لجنة "بحرنة الوظائف" لم يلمسوا حتى الآن تحركاً فعلياً وملموساً لإحلال البحرينيين في وظائف القطاع العام، ولم تردهم أي معلومات تفيد أن الحكومة بدأت بتنفيذ ذلك فعلياً على أرض الواقع.

وعلى صعيد متصل، قال النفيعي:"إن وزير العمل بين في معرض رده على استفسار لجنة "بحرنة الوظائف" بشأن "الخطة الوطنية لسوق العمل" أنه لا توجد خطة وطنية لسوق العمل في الوقت الراهن، رغم أن من مهام هيئة تنظيم سوق العمل وضع خطة وطنية لسوق العمل كل سنتين، إلا آخر خطة تم تقديمها كانت للفترة من 2007-2009 ، وبعدها لم ترد أية خطة في الجريدة الرسمية

الوطن : الأربعاء ١٦ أكتوبر ٢٠١٩

«العمل» : ندعم القرار بشرط التوافق..

«ثلاثي الإنتاج»: لا مانع من احتساب المسافة ضمن ساعات العمل

أجمع مسؤولون حكوميون وممثلو القطاع الخاص وممثلو نقابات على أن الاتجاه لاحتساب المسافة من المسكن إلى مكان العمل وبالعكس ضمن ساعات العمل هو اتجاه متقدم ولكن ليس بالضرورة أن يكون حوله توافقات في سوق العمل.

وقال المتحدثون في تصريحات لـ"الأيام" إن مثل هذا الاتجاه يحتاج لتوافق بين أطراف الإنتاج وبما يصب بمصلحة جميع أطراف الإنتاجية دون أن يرى بعضهم صعوبة كبيرة في تطبيقه على أرض الواقع في البحرين نظرًا لاختلاف طبيعة وأسلوب الحياة بين المنطقة العربية وبين دول الاتحاد الأوروبي التي تنتظر تطبيقه لفئات محددة في سوق العمل.

ويؤكد وكيل وزارة العمل والتنمية الاجتماعية صباح سالم الدوسري على أن الوزارة تدعم أي أمر من شأنه ان يصب في مصلحة طرفي الانتاج، لافتًا الى أهمية ان يكون هناك توافق بين ممثلي اتحادات العمال وبين غرفة تجارة وصناعة البحرين التي تمثل القطاع الخاص، مبينًا أن أي توافقات بين أطراف الانتاج يبنى على معطيات تأخذ في عين الاعتبار مصلحة العملية الانتاجية وتصب بمصلحة العمال.

«الأيام» ٢ أكتوبر ٢٠١٩

قانون جديد: إجازة الخصم من راتب الموظّف دون الحاجة لوقفه عن العمل

أجاز قانون حكومي جديد لديوان الخدمة المدنية أن يخصم من راتب الموظّف الحكومي عند الجزاءات التأديبية دون أن يضطّر إلى وقفه عن العمل خلال فترة الخصم.

وينصّ القانون الحالي على أن يكون الخصم من الراتب مقترنًا مع الوقف عن العمل لمدّة 10 أيام، ولا يجيز أن تزيد فترة الإيقاف والخصم عن هذه المدّة، كما لا يجيز أن تزيد مدّة الخصم عن شهر واحد خلال السنة.

أما التشريع الجديد، فيجيز أن تصل فترة الخصم من الراتب لمدّة 3 أشهر في السنة الواحدة.

وينصّ المشروع الحكومي على أن تُمحى الجزاءات التأديبية التي تُوقع على الموظف تلقائيًا بانقضاء سنة واحدة في حالة الخصم من الراتب بما لا يزيد عن راتب شهر واحد، وأن تُمحى بعد سنتين في حالة كان الخصم من الراتب بما يزيد عم راتب شهر، وذلك بعكس القانون الحالي الذي يمحي جميع الجزاءات التأديبية بعد سنة واحدة فقط.

وبحسب المشروع الجديد، يكون الاختصاص بإحالة الموظف إلى التحقيق وتوقيع الجزاءات التأديبية عليه للسلطة المختصة، ويجوز عند الاقتضاء لديوان الخدمة المدنية تولّي الاختصاص بمباشرة التحقيق الإداري بعد التنسيق مع السلطة المختصة، وإذا جاءت توصية التحقيق بتوقيع جزاء الخصم من الراتب أكثر من شهر أو الفصل من الخدمة بحقّ الموظّف فيجب إحالته من السلطة المختصّة إلى مجلس تأديب بقرار من رئيس الديوان، وتبيّن اللائحة التنفيذية الإجراءات المتبّعة من قِبل مجلس التأديب في هذا الشأن.

«الأيام» ١١ اكتوبر ٢٠١٩

الهنود ثاني أكبر جنسية مستثمرة في البحرين بعد المواطنين

أظهرت بيانات صادرة عن وزارة الصناعة والتجارة والسياحة، أن أكثر الجنسيات استثماراً في المملكة هي الجنسية البحرينية، حيث وصل عددهم إلى 248125 مستثمراً بحرينياً.

وبحسب المؤشرات القياسية الصادرة عن الوزارة، جاء المستثمرون الهنود في المرتبة الثانية، حيث وصل عددهم إلى 17399 مستثمراً هندياً، في حين جاء بالمرتبة الثالثة المستثمرون السعوديون ليصل عددهم إلى 14703 مستثمرين سعوديين في البحرين.

أما المرتبة الرابعة فقد حصلت عليها باكستان، حيث وصل عدد المستثمرين إلى 5206، في حين يبلغ عدد المستثمرين من بنغلاديش حوالي 4164 مستثمراً، بحسب الأرقام.

من جانب آخر، بلغ عدد المستثمرين المصريين في البحرين 3313 مستثمراً مصرياً، في حين وصل عدد الكويتيين إلى 2095، وأخيراً بلغ عدد المستثمرين اليمنيين في البحرين حوالي 1998 مستثمر.

وأظهرت المؤشرات، أن أكثر القطاعات الاستثمارية في البحرين هي قطاعات أنشطة التجارة وإصلاح المركبات ذات المحركات والدراجات النارية، حيث وصل عدد السجلات إلى 60798 سجلاً تجارياً. وجاءت الأنشطة المهنية والعلمية والتقنية في المرتبة الثانية بـ15771 سجلاً تجارياً، أما في المرتبة الثالثة، فقد حل قطاع التشييد بـ14023 سجلاً تجارياً، في حين سجلت الصناعة التحويلية 12523 سجلاً تجارياً.

فيما تم تسجيل 10513 سجلاً لأنشطة خدمات الإقامة والطعام، أما أنشطة الخدمات الإدارية، وخدمات الدعم فقد سجلت 9909 سجلاً تجارياً، مقابل 7470 لأنشطة التصليح والخدمات الشخصية، فيما بلغت الأنشطة العقارية 6344 سجلاً تجارياً.

الوطن : الخميس ٣ أكتوبر ٢٠١٩

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

تراجع العمالة الوطنية بنسبة 3.6%

كتب فاضل منسي:

كشفت الأرقام والاحصائيات التي حصلت عليها "أخبار الخليج" عن عدم نجاح الخطة الوطنية لهيئة تنظيم سوق العمل في تحقيق أهدافها ضمن الخطة الوطنية التي أقرّتها الهيئة قبل عامين، والتي كان من أبرز بنودها تحقيق دعم القطاع الخاص ليكون المحرك الأساسي للنمو، وتحقيق التوازن في توفير احتياجات المشروعات ورجال الأعمال من العمالة الوافدة، وكذلك تمكين البحرينيين ليكونوا الخيار المفضل في التوظيف، والحدّ من ظاهرة العمالة السائبة، والممارسات غير القانونية في سوق العمل، وتسهيل الإجراءات وسرعة إنجاز المعاملات بكفاءة عالية.

وتشير الأرقام الرسمية والتي حصلت عليها "أخبار الخليج" للعام الجاري إلى تراجع كبير في نسبة العمالة الوطنية، اذ بلغ إجمالي العمالة البحرينية بنهاية هذا العام 153.103 عمال بحرينيين بانخفاض بنسبة سنوية قدرها 3.6٪ بالمقارنة بـ158.814 عاملاً في العام السابق، وهذا ما يؤكد فشل الهيئة من تمكين المواطنين ليكونوا الخيار المفضل للقطاع الخاص في التوظيف، بسبب عدم وجود استراتيجيات وخطط واضحة للهيئة.

أما بخصوص الحدّ من العمالة السائبة، عالجت الهيئة قضية العمالة السائبة من خلال إطلاق برنامج "الفيزا المرنة" والذي تسبب بضربة موجعة للقطاع الخاص، حيث بلغ اجمالي عدد التصاريح التي أصدرتها هيئة تنظيم سوق العمل خلال هذا العام 46.162 تصريحًا جديدًا منها 37.570 تصريحًا للعمالة المرنة، فيما بلغ اجمالي عدد التصاريح التي تم تجديدها هذا العام 95.992 تجديدًا، منها 80.430 تصريحًا للعمالة المرنة وبمجموع كلي بلغ أكثر من 110 آلاف استفادوا من برنامج الفيزا المرنة، ما تسبب في فوضى بالقطاع الخاص بسبب خروج الآلاف من الآسيويين العاملين بالقطاع للحصول على الفيزا المرنة.

أما بخصوص أحد البنود في الخطة الوطنية لهيئة تنظيم سوق العمل والذي يشير إلى ضرورة تحقيق التوازن في توفير احتياجات المشروعات ورجال الأعمال من العمالة الوافدة، فالأرقام الرسمية تشير إلى أن أكثر من 200 مستثمر وصاحب عمل طلبوا إلغاء تصاريحهم.

اخبار الخليج : ٢١ أكتوبر ٢٠١٩

ثمة قمرٌ يتوجب غزوه:

صراع الطبقات الشعبية في البحرين

تتحركُ الجماهير العربية مرة اخرى – بعد تسع سنوات – من السودان، إلى العراق ولبنان والجزائر، لأسباب موضوعية متراكمة لا سبيل للهروب منها إلا عبر النزول إلى الشارع. إن الجماهير عامةً أبداً خلاقة، ابداً متقدمة على المثقفين، أبداً تبتكر طرقاً ومخارج لا يمكن تصورها بشكل مسبق.

والجماهير العربية ليست مستثناة من ذلك، فهي عاشت التراكم الموضوعي هذا، ولكنها، في ذات الوقت، تعيشُ تجاربها الذاتية بطرق مختلفة فتستجيب للأزمات الموضوعية بطرقٍ مختلفة (وهي أزماتٌ، من حيث الطبيعة، اسوأ من ظروف ٢٠١١). ولا يخفى على أحدٍ منا، ولا في تصورنا ثمة عاقلٌ يمكنه إنكار ذلكً، بأن البحرين شريكةٌ في الظروف الموضوعية هذه؛ رغم أنه للعين المجردة لا يحصًل شيئاً تحت الشمس.

هشام عقيل

بالفعل، قد يقول أحدهم: أتمّ مصنع ألبا 10 ملايين ساعة من العمل، وفي العام الماضي أتمت بابكو 17 مليون ساعة عمل، والسيارات لا تزال تتزاحم في الشوارع رغم أن لتر البنزين صار يساوي 200 فلساً، والفقر – يقولون – معدوم في البحرين وأن اولئك الذين لا يملكون وسيلة كريمة لتأمين لقمة عيشهم، ناهيك عن العاطلين، هم محض خيال؛ كما لو كانوا شيئاً أشبه ب»أبي دريا» أو «أم الخضر والليف» — أسطورة نابعة من خيال شعبي ما. ثم نردد نداءاً سمعناه: المستقبل الواعد في طريقه آت، فيما يكرر البحرينيون بسخريتهم المعروفة: «جوّد مجنونك!». هكذا، السطح يبدو هادئاً لكن تتآمر الأشياء في باطن الأرض و»تتمايل كأفاعٍ تحلم على تلال الجنة».

فيما دفعت الظروف الموضوعية الجماهير العربية الأخرى نحو تفاعل ذاتي معها (مهما كانت النتائج)، إلا أن هذه الظروف الموضوعية في البحرين لم تدفع الجماهير نحو ذلك. طبعاً، يرجع ذلك لأسباب مضاعفة في تحديدها؛ سياسية في المقام الأول، ولكن ايضاً لا تقل الإيديولوجية أهمية عنها. لكن قبل الخوض في ذلك، دعنا نأخذ إلتفافاً حول الأوضاع الموضوعية الملموسة للطبقات الشعبية.

الكل طبعاً يتفق على عبارة واحدة لتحديد هذه الظروف الموضوعية: «تدني المستوى المعيشي للبحرينيين». ورأت كل الجمعيات السياسية، ومعها الساسة أنفسهم، بأن من واجبها الدفاع عن المطالب اليومية عبر مقترحات من شأنها أن تساهم في رفع المستوى المعيشي للفرد في البحرين، وبالتالي تشكل نفسها – كما يروج التقليد البورجوازي – كمن ينقل مطالب الناس الاجتماعية – الاقتصادية إلى الحكومة. ولا يخفى علينا بأن كتلة «تقدّم» في البرلمان تشكل إحدى هذه المحاولات، وهذا أمرٌ جيد. لكن لا أحد يقدم تفسيراً علمياً للأسباب الفعلية لكل هذه الأوضاع الموضوعية. ولما كان يسيراً علينا أن نفهم لمَ لا تقدم التيارات السياسية البورجوازية والبورجوازية الصغَيرة تفسيراً علمياً (بدلاً من كونه إيديولوجياً)، سيكون صعباً علينا أن نفهم لماذا نتكلم نحن بذات اللغة تماماً. هذا ليس بتساؤل عابر، حيث إنه يعبر عن مسألة جوهرية جداً. علينا أن نعترف بأننا لا نملك الوسائل الحقيقية، وأعني بذلك النظرية، لتفسير أسباب «تدني مستويات المعيشة» للجماهير؛ غير حقيقة أننا إما اكتفينا بتحديد النتائج والظروف التي يعيشها الناس (ولكن الطبقات الشعبية أدرى بذلك، بما إنها تعيشها يومياً!) وإما باستيراد تفسيرات بورجوازية بأرقام نابعة من إحصائيات بورجوازية.

طالبنا بتأخير قانون القيمة المضافة ولم نقدم أي تفسير للجماهير عن أسباب وجود هذا القانون، ورحنا نطالب بتعديل بعض القوانين النقابية المتعلقة بالعمل نفسه. ثم، طبعاً، احتججنا على نظام المعاقدات التي تقيمها الشركات الرأسمالية المحلية، ودافعنا عن مزارع الدواجن الصغيرة، واعترضنا على المعاملات القاسية التي يواجهها العمال الآسيويون محلياً، وشجبنا القطاعات الخاصة بإسم البحرنة. ولما وجدنا أنفسنا مضطرين تقديم سبب ما، قلنا ما تقوله الأحزاب البورجوازية الصغيرة الأخرى (والتي تتفق تماماً مع بعض اعضاء البورجوازية نفسها). لم نفسر الميكنزمات الرأسمالية الحقيقية، من وجهة نظر اقتصادية علمية (لا الابتذال الاقتصادي الفاضح) للجماهير — فلم نستمع إليها إطلاقاً. أقولُ «لم نستمع" بمعنى لم نصغِ، بمعنى لم نبنِ جسوراً قاعدية بيننا وبينها والعلاقة تركزتَ بكونها علاقةَ حزب وجماهير؛ لا حزب جماهيري (والفرق شاسع).

لا أقول ذلك كي أُفهم على أنني أقصد بأن كل شيء يطير هباءً، بل (ولا طائل من إنكار ذلك) هناك مطالب فعلية وفي تحققها فائدة للطبقات الشعبية، ولا بد من العمل على ذلك بشكل دائم. على سبيل المثال، لا بد للواحد منا أن يشيد بالمقترح النيابي لتعديل قانون العمل عبر "إلزام أصحاب الأعمال بمراجعة كشوفات العاطلين». كما إنه لأمر جيد بأن في المقترح

يتبع

يتبع

تمّ تحديد بأن القانون يتسم بطابع طبقي (والمقترح نفسه يتجسد في الحد من آثار عدم – التوازن ما بين أصحاب الأعمال والعمال). لكن، في مثل الوقت، نلاحظ بأن المقترح يقف عند "طبقية" القانون القائم ولا يفسر الأمور أبعد من ذلك، مفترضاً بشكل مسبق بأن الطبقية تقع في حقيقة "التفاوت" ما بين صاحب العمل والعامل وحسب.

كما أن الطابع الطبقي تمّ تحديده بشكل عمومي جداً، ولا تجوز العمومية في السياسة، لدرجة أنه نسى بأن مصطلح "صاحب العمل" يشمل الرأسمالي (المنتمي للطبقة المستغِلة الرئيسية) وصاحب العمل البورجوازي الصغير (الذي لا ينتمي للطبقة المستغلة بأي شكل من الأشكال). مرة أخرى، النوايا نبيلة ولكن حالما نتحدث عن "تحديد طبقي" كما تقدّم في هذا المقترح سيتوجب علينا أن نستعمل هذا المفهوم بدقة ولا يجوز غير ذلك، حيث نجد أن المقترح نفسه يغيب الطابع الطبقي للتناقض القائم ما بين صاحب العمل البورجوازي الصغير وصاحب العمل الرأسمالي؛ كما لو كانا ينتميان إلى طبقة واحدة، وهذا التحديد له عواقب سياسية خطيرة. كما أن المقترح لا يستبق طرق تملّص أصحاب العمل البورجوازيين من القانون حالما يتم تطبيقه.

إننا نطرح مثالاً ليس إلا، والقضية ليست قضية مقترح نيابي أو آخر بقدر ما هي تتعلق بأن الظروف الموضوعية لا تفسر من حيث جذورها، بل من حيث ظواهرها وحسب. ولا يكفي، في هذا المقام، أن نكتفي بتحديد الطابع الطبقي لقوانين العمل القائمة وحسب، ولا يكفي أن نلتزم بالدفاع عن المصالح الاقتصادية للطبقات الشعبية؛ بل لا بد من إعطاء كل هذه القضايا جوهراً سياسياً.

أليس من الغريب أننا نسمع كل الأحاديث حول السياسات الطبقية لقوانين العمل، ولكن لا نستمع ولو كلمة واحدة بالطابع الطبقي للبرلمان، أو الدستور، أو الدولة؟ لا زلنا هنا عالقون في التفكير البورجوازي حين نفترض بأن الدولة أداة منفصلة عن المجتمع المدني؛ بأن الدولة أداة محايدة طبقياً غرضها «المصلحة العامة»، وكأنها تخلو من أي تحديد طبقي. إن هذه النقطة التي تجعل فيتشية من البرلمان، التي تنزع نحو أن تجعل كل حل موجود عبر وفي الدولة، هي ما يسميها ماركس بالقمائة البرلمانية؛ هي محور الفرق الأساسي ما بين النزعة البورجوازية والنزعة البروليتارية في الحركة الاشتراكية.

كما سبق وأن بيّن ماركس، قبل أن يقوم لينين بذلك في مؤلفه (ما العمل؟)، بأن الدفاع عن المصالح الاقتصادية للعمال والموظفين أمرٌ متقدم ويعبر عن مقاومة محددة موجهة لرأس المال نفسه، ولكن إن اكتفينا بالدفاع عن المصالح الاقتصادية للطبقات الشعبية سنكون قد سقطنا في الإصلاحية (التوافق والتصالح ما بين الطبقات، المساواة ما بين الطبقات، وإزالة التفاوت الطبقي، وغيرها من العبارات البورجوازية الصغيرة).

مثلاً ذلك واضح في الفصل حول (القيمة الزائدة النسبية)، حيث يبيّن ماركس بأنه رغم كون تقصير يوم العمل امراً ينصبّ في مصلحة العمال إلا أن المستفيد من ذلك هو الطبقة البورجوازية (حيث تزيد إنتاجية العمل عبر إدخال المكائن الجديدة، إلخ). معنى ذلك، إذن، لا بد أن يُبرز العمل السياسي (الذي يأتي من ضمنه العمل البرلماني) المضمون السياسي وراء الصراعات الاقتصادية. نقولُ يبرز ولا يعطي أو يمنح، حيث نفترض مسبقاً بأن "كل صراع طبقي هو صراع سياسي" — الحزب السياسي الماركسي هو الذي يعي بالمضمون السياسي لصراعات قد تبدو ليست سياسية إطلاقاً.

لن يختلف معنا أحد بأنه يمكن اختصار الصراع الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي عامة بالتالي: إنه واقع ما بين طرف يبغي أن يستقطع أكبر قدر من القيمة الزائدة وطرف يقاوم هذا الإستقطاع بأكثر قدر ممكن. لكن إن توقفنا هنا سنسقط في الإصلاحية، أو مرادفها العزيز: النقابية. لذا سيتوجب علينا أن نضيف إلى هذه الصيغة حقيقة أن هذا الصراع ناتج عن صراع سياسي: ما بين طرف يبغي أن يقرَّ بسيطرته الطبقية وبالتالي يبعد الطرف الآخر، بكل الأشكال الممكنة، عن هذه السيطرة. نقولُ إن الصراع السياسي أصلاً كامن في المصانع نفسها؛ في المكائن، والمبنى، ودواليب الإنتاج؛ ما بين المشرف والعامل؛ ما بين تقسيم العمل الواضح ما بين المهندسين، والمختصين، ومجالس الإدارة من جهة والعمال من جهة اخرى. إن كل اجراء يبدو اقتصاديا (أو فني– تقنيًا، أو حتى تكنوقراطياً)، رغم أن له خصوصيته الاقتصادية، هو نتيجة أو أثر الصراع السياسي المذكور، ايّ واقع بالتحديد في لجم الطبقة العاملة بالتحديد، والطبقات الشعبية عامة، من قِبل رأس المال (لكن لنكن حذرين جداً هنا!. لا نشير هنا إلى الصراع الطبقي الأساسي للمجتمع، وهو دائماً صراع اقتصادي يجد تعبيره في علاقة علاقات الإنتاج بالقوى الإنتاجية، بل إلى الحقل الاقتصادي للصراع الطبقي الرئيسي للمجتمع، وهو دائماً سياسي).

لن نتمكن من التقدّم بشكل مباشر في مسألة الحزب السياسي الماركسي دون أن نبين حقيقة الأطروحة المذكورة في الفقرة السابقة في ضوء المضامين السياسية الكامنة في الصراعات الاقتصادية التي تشهدها البحرين حالياً. فكيف يمكن أن نفسر "تدني الأوضاع المعيشية" التي تعاني منها الطبقات الشعبية البحرينية بالمعنى العلمي للكلمة؟

إن "تدني الأوضاع المعيشية" بشكل عام، مع كل الإجراءات التي تأتي تحتها (ولا حاجة بنا أن نذكرها)، ليست سوى تعبير عن صراع اقتصادي ما بين رأس المال (الحكومي والخاص معاً) على العمل نفسه (العمل المنتج للطبقة العاملة والعمل غير المنتج للأقسام الدنيا من الطبقة البورجوازية الصغيرة). الصراع يكمن في إستقطاع أكبر كمية من عمل زائد، لئلا نقول قيمة زائدة وهي تنحصر بالطبقة العاملة وحدها، من العمال والموظفين.

كما أن "تدني الأوضاع المعيشية" عبارة غير علمية (ولكنها مفهومة في الخيال العام) تعبر عن ازدياد حدة الاستغلال، كردة فعل رأسمالية لمعالجة أزمتها. ما هي الأشكال الملموسة لاستغلال الطبقات الشعبية في البحرين؟ أولاً، دعنا نبين بأن استغلال العمل الزائد لا يجري على الطبقة العاملة دون غيرها بل أيضاً على الأقسام المتوسطة والدنيا من الطبقة البورجوازية الصغيرة (الموظفون الأجراء غير– البروليتاريين مثل: موظفي القطاع التجاري، المصرفي، التأمينات، الإعلانات، إلخ)، التي قد تنتج ربحاً فردياً بالنسبة إلى صاحب العمل نفسه، ولكنها لا تنتج قيمة ولا قيمة زائدة اجتماعياً. ثانياً، دعنا نوضح بأن «تدني الأوضاع المعيشية» ليست إلا تعبيراً آخر لعملية خفض الأجور، ايّ خفض من قيمة قوة العمل، وبالتالي الزيادة في حدة العمل الزائد. وهذه، طبعاً، الطريقة الأساسية لمنطق رأس المال في مناهضة الأزمة الرأسمالية.

لكن الأرقام، سيقول لنا البورجوازيون وكتابهم التوابع، تقول عكس ذلك! الأرقام تقول بأن معدل الأجر البحريني قد ارتفع! لكن حبذا لو فكرّ هؤلاء الاقتصاديون، والكتاب الصحفيون الميؤوس من حالهم، بأن ليس على الأجور أن تنخفض كمياً كي نقول عنها منخفضة. المسألة لا تنحصر بتخفيض السعر الأسمي للأجر نفسه، فمن الممكن أن يبقى كما هو كمياً فيما هو ينخفض بشكل نسبي دون أن نشعر بذلك. ونضيف بأنه من الممكن للأجر الاسمي أن يرتفع بينما ينخفض الأجر الفعلي في وجه ذلك. وهذا ما نراه على أرض الواقع، فمثلاً تقول الأرقام الرسمية بأن معدل أجر البحريني في ارتفاع مضطرد منذ 2014 حتى عامنا الحالي. إن المعدل العام لأجر البحريني في 2014 كان 505 ديناراً، بينما في 2019 فهو 532 ديناراً. هذا يعني أن الأجير البحريني أصبح، في مدة خمس سنوات، يبيع قوة عمله بسعر اسمي أعلى. ولكن لا تقول الأرقام، ولا تفسر، لماذا يتدنى الوضع المعيشي مع هذا الارتفاع. طبعاً، لا ينكر مختلف المحللين الاقتصاديين – البورجوازيين والبورجوازيين الصغار – بأن البحرين تعاني من أزمة اقتصادية، ووفقاً لذلك يلقون علينا بأن الواجب الوطني للجميع (بالمعنى الكانطي للكلمة) أن يقتصدوا في حياتهم اليومية كي يزدهر الاقتصاد مرة أخرى. عليكم أن تأكلوا أقل!

يتبع

وتستبدلوا الثقافة الاستهلاكية هذه، أليست هي سبب استدانتكم المستمرة من المصارف؟ ولماذا هذا الاستخدام المفرط للكهرباء، ألا تعرفون كيف تتحملون الحر الشديد، ألم تتعلموا شيئاً من أجدادكم؟! وطبعاً لا ننسى ردود الحكومة التي تفسر انتهاء أدوية السرطان بفعل ازدياد مرضى السرطان، لذا – على ما يبدو – من يحس بأنه سيصاب بالسرطان في القريب العاجل عليه أن يقتل نفسه كي يؤدي واجبه الوطني. إن الأزمة ستمر، يقولون لنا، فلماذا نعطيها حجماً أكبر مما هي عليه؟ لذا لنصبر قليلاً إلى حين تهدأ الأمور، وحتى ذلك الحين الأفضل أن نردد مع غوته: «أينبغي لهذا العذاب أن يعذبنا، إذا كانت نهايته متعة أعظم؟».

ترافق، إذن، ارتفاع السعر الاسمي للأجر مع انخفاض في الأجر الحقيقي الذي يقف في مواجهة السلع.

إن فرض ضريبة القيمة المضافة ورفع الدعم عن السلع الضرورية كانا إجرائين كافيين لرفع أسعار السلع في مقابل الأجور الحقيقية.

ولا يعني ذلك بأن على أسعار السلع أن تتغير بذاتها، بل يكفي أن تتغير بالنسبة إلى الأجور الحقيقية. فما كان يغطيه الدعم الحكومي قد رفع وذلك يعني أن سعر السلعة قد ارتفع بالنسبة للأجر رغم أن السعر بقى هو هو.

كما إن ذلك دفع أصحاب العمل الآخرين إلى رفع أسعار سلعهم نتيجة هذه الإجراءات بالتحديد. ورغم أنه من الممكن للأجر الفعلي أن يرتفع، أو ينخفض، بشكل عكسي للأجر النسبي، إلا أنه في حالة البحرين نجد بأن انخفاض الأول ينعكس في الثاني — مما يشير أساساً إلى ارتفاع في معدل الاستغلال.

ينخفض الأجر لأن الربح قد تعاظم، هذه مقولة رئيسية عند الاقتصاد الماركسي.

ولما كان دافع تعاظم الربح هو ازدياد حدة الإنتاج وكثافته، فإذن نرى بأنه ولمعالجة أزمته يعمد رأس المال الحكومي لا إلى تخفيض الأجر وحسب بل زيادة حدة الإنتاج نفسه؛ مثلاً ذلك واضح جداً عند اتجاه بابكو لتوسعة الإنتاج النفطي نحو 380،000 برميل في اليوم أو طموح ألبا، بعد أن كانت قد وصلت إلى مستوى إنتاج مليون طن متري، في إفتتاح خط 6 مما سيرفع الإنتاج إلى مليون ونصف طن متري. في الحالتين، اتجه رأس المال الحكومي نحو الاقتراض وطلب الاستثمار من قِبل نقابات من الشركات المصرفية الإمبريالية الضخمة لمساندة مشاريع التوسعة هذه، إذ إنها لا تستطيع، بحدود توسع رساميلها، أن تمول (بشكل ذاتي) هذه المشاريع الضخمة.

إلى حد الآن، تحدثنا عن الاستغلال بخصوصيته الاقتصادية ولكن بأي معنى يبرز نفسه في شكل صراع سياسي؟ نحن نعلم بأن حين يكون رأس المال في أزمة سيكون عليه أن يفك –الربط، استعمالاً كلمات ماركس، في جزء من تكلفة إنتاجه: الأجور من جهة ورأس المال الثابت من جهة اخرى. في الجهة الأولى، ذلك يتم إما عبر تخفيض الأجور (كما ذكرنا للتو) وإما تسريح العمال (الذي يأخذ اشكالاً عدة، مثل التقاعد المبكر). أما في الجهة الأخرى، فإن رأس المال الحكومي في البحرين نفسه لا يقوى على التوسع في إنتاجه إلى درجة أنه بحاجة إلى الاقتراض والتمويل من شركات أجنبية لكي تنقذه من الانسداد الإنتاجي (ولا ننسى حقيقة أن استخراج النفط أصبح متاحاً للشركات الإمبريالية بشكل مباشر). كما أنه لا يرى أية مشكلة في مساعدة رأس المال الخاص في الصعود كي يتحمل عنه تكاليف الإنتاج ككل.

ولكن يترافق مع ذلك حقيقة أن رأس المال يعمل، بشكل سياسي، في لجم حركة الطبقة العاملة من حيث الأساس: فدعوة الرساميل الإمبريالية أن تقدم، وتقديم التطويرات التقنية الحديثة في مجال الإنتاج، وتوسعة القطاعات الاستثمارية بشكل ضروري، تعبر أساساً عن دحر مقاومة العمل لرأس المال (بالمعنى السياسي والاقتصادي في مثل الوقت).

هكذا على اليسار أن يقدم المسألة في عمله السياسي، لا أن يلتزم بوظيفة القديس المسيحي: ينقل مطالب الناس إلى سلطة عليا! أن يبين إلى أي مدى ينزع رأس المال بشكل مخالف لظواهره، وما يبدو في الظاهر كمجرد تدني في المستويات المعيشية ما هو إلا صراع طبقي يعبر عن عملية ممنهجة في تخفيض الأجور الفعلية رغم ارتفاع الأجور الأسمية. إن يبين، بالتالي، كيف يعمل رأس المال سياسياً ضد الطبقات الشعبية، لا أن نكتفي في إظهار ذلك عبر الوجه الاقتصادي وحسب – مما سيعني سقوطنا، الحتمي، بما سمته الأدبيات الماركسية قديماً: الإنتهازية – الاقتصادوية.

هكذا، ترتبط رؤيتنا للعمل البرلماني بالطريقة التي نتقدم بها لفهم مفهوم الدولة عامة. تجدُ الإنتهازية بأن الدولة هي أداة محايدة طبقياً يمكن «توجيهها» نحو سياسات «تقدمية – اجتماعية» عبر جهاز (ايضاً محايد طبقياً) هو البرلمان، بصرف النظر عن السيطرة الطبقية للبورجوازية وأقسامها المختلفة. أما الفكرة العلمية السليمة حول الدولة، فهي تفيدنا بأن الدولة ليست محايدة طبقياً؛ أنها ليست بكتلة خالية من التناقضات الداخلية، حيث إنها علاقة اجتماعية: تؤثر وتتأثر بالصراع الطبقي.

لا يجب أن يُطرح البرلمان من قِبل أية حركة يسارية، إذن، كغاية– في حد ذاته. بالتالي، على أية حركة يسارية حقيقية ألا تعتمد كلياً على العمل البرلماني. نعني ذلك بالمعنى العمومي (عند الدولة الرأسمالية عامة) وبالمعنى الخصوصي في مثل الآن؛ وسبق لنا أن ذكرنا بأن الجهاز المسيطر في الدولة الخليجية ليس الجهاز البرلماني (مثلاً، ألا يبين قاسم حداد ذلك، من وجهة نظر الخطاب الأدبي طبعاً، حين يسمي تجارب المشاريع الديموقراطية بـ «تجارب ممسوخة»؟ وفي مكان آخر يقول إن الديموقراطية الممنوعة هي ممنوعة «بنيوياً» من الأساس؟).

نختصر ونقول: لما كانت الدولة لا تخلو من الطابع الطبقي، وبالتالي تتحدد بالصراع الطبقي وتتدخل فيه بشكل دائم (ايّ، أنها دائماً تختزن تناقضات داخلية)، فهذا يعني أن على اليسار أن يضع أهمية خاصة لإبراز التناقضات الداخلية عبر البرلمان للجماهير من جهة (الأزمة الإيديو–مؤسساتية للبرلمان) وأن يعمل على إقامة جسور مختلفة مع الجماهير (مما يعني مباشرة بأنه لا يكتفي بالعمل السياسي البرلماني وحسب، بل خارج إطاره). بكلمات أخرى، عليه أن يبرز التناقضات الموجودة في طريقة تقسيم العمل ما بين مختلف أجهزة الدولة (التقسيم الإداري–البيروقراطي، الإيديولوجي، السياسي، إلخ) وتمفصلها وتمركزها حول الجهاز المسيطر نفسه (ايّ، طريقة تحددها به أساساً).

هذا يعني أنه يشكل نفسه كمحور ضغط في التوازن العام عند هذه المؤسسات عامة. أما من جهة أخرى: عليه أن يقيم جسوراً خارج هذه المؤسسات؛ أن يشتغل دائماً عند المراكز المحلية، ومجالس الأحياء، والتجمعات القروية، وأن يحفز دائماً مسألة الإدارة العمالية في المصانع، ودمقرطة المؤسسات التي تتسم بالتقسيم البيروقراطي (مثلاً، عبر تشريعات نقابية تهدف إلى كسر تقسيم العمل التقليدي، إلخ).

هكذا، أن يعمل عند جانبين: المؤسسات التمثيلية من جهة، والحركات القاعدية من جهة أخرى. أما إذا اكتفى بالانتصارات المايكروسكوبية التي لا تتعدى كونها انتصارات تشريعية من ناحية الصراع الاقتصادي هنا وهناك؛ سيكون علينا أن نقول، كما قال غرامشي قبلنا، إن اليسار التقدمي سيتصرف، في هذه الحالة، كمن يقتل اليراعات كي يخفي ضوء القمر!

أهو قادرٌ على هذه المهمة؟ عليه أن يكون ذلك ولا سبيل له غير ذلك، إن أراد الحياة! إن الحركات الجماهيرية الصاعدة في كل العالم تضع اليسار في هذه الزاوية الحرجة: إما الروتينية والتآكل وإما الحيوية الخلاقة. إن الحركات الخلاقة للجماهير ستضع اليسار في مهمة جد ضرورية وضعها لينين قبل قرن كامل: «حان الوقت أن نلقي بالقميص المتسخ في القمامة، ونلبس الكتان الأبيض».

الآن قد يكون ذلك ضرباً من ضروب الحلم والأماني، ولكن الأفكار تصبح قوة مادية حالما تتملكها الجماهير. وحينها طبعاً يجب أن ننافي كل قواعد التبادل الاقتصادي الحر، ونتعجب – مثلما تعجب أرسطو قديماً – أمام المفارقة في اللا تكافؤ الكامن في التبادل، حيث نكون على استعداد أن نبادل يراعات عدة بمقابل القمر، 27 مليون ساعة عمل بمقابل ساعة واحدة من تظاهرة عمالية، مجموع الصحفيين الذين يمتهنون الكذب بمقابل معدم واحد ينكر عليه فقره حتى!

لكن إلى ذاك الحين سيكون علينا أن نعتاد الإستماع إلى نداء الملك ريتشارد: "سأتخلى عن مملكتي من أجل حصان واحد! مملكتي بمقابل حصان واحد!".

أمنية علي سيار

عصمت الموسوي

نال الراحل علي سيّار العديد من الجوائز والتكريم وحظيت سيرته المهنية الطويلة والمتنوعة بشتى الكتابات منذ صحافة الخمسينات وإلى حين عزلته القسرية المرضية لاحقًا، لكن كل ذلك لم ينس ولم يُعوّض علي سيار عن أمنيته التي كانت خارج كل ذلك، كان التكريم بالنسبة لسيّار هي منحه الترخيص لإصدار صحيفة يومية عبر تحويل مجلة «صدى الأسبوع» المغمورة والمنسية الى صحيفة ثانية تصطف إلى جانب «أخبار الخليج» التي أصدرها الراحل محمود المردي – رفيق رحلته الصحيفة – عام ١٩٧٦.

ذلك ان ال»صدى» التي تأسست في العام 1969 واكتسبت جاذبيةَ وحضورًا من خلال تغطياتها الجريئة لمراحل مهمة في التاريخ السياسي البحريني رغم تواضع إمكانياتها قد انحسر صيتها ووهجها بعد حل المجلس الوطني عام 1975، فيما اكتفت الدولة بالسماح لصحيفة واحدة خاضعة بالكامل للضبط والمراقبة استجابة لقانون 1947 للمطبوعات و النشر القاسي، ولكن علي سيّار لم يستسلم ولم يرضخ فراح يصب لجام غضبه على وزير الإعلام السابق الراحل طارق المؤيد محملا إياه المسؤولية في رفض طلبه وفي طباعة المجلة لدى مطبعة الحكومة، إذ عانى سيّار الأمرين مع تكاليف الطباعة ومحدودية دخل الاعلانات، فضلاً عن الديون المتراكمة.

من هنا بدأ سيّار بمهاجمة الوزير في شخصه معتبرًا إياه حجر العثرة في طريق مشروعه الإعلامي الطموح الذي ما كان الزمن ولا الظروف الأمنية والسياسية لتسمح بوجوده، فالجهات الرسمية في البحرين كانت تعرف سيّار جيدًا، حيث اختبرته على مدى أعوام مع صحف الخمسينات والستينات والسبعينات، اصطدم بسلطة المستعمر وواجه المستشار الإنجليزي بلجريف وأُغلقت صحيفته عددًا لا يحصى من المرات وأجبرت في مرات أخرى على إزاحة اسمه والخضوع للرقيب.

علي سيّار الذي اعتنق الفكر الناصري وجد في الكلمة سلاحًا للنهوض والتنوير ومقارعة المستعمر ونيل الحقوق، لم يكن صحفيًا عاديًا بل كان ثائرًا وجريئًا، وهي جرأة لم تُحتمل لصحفي يرى الصحافة بوصفها سلطة شعبية رابعة وشريكة في صنع القرار الوطني، فالصحفي في عرف علي سيّار ليس موظفًا لدى الدولة بل رقيب على أعمالها ويستمدّ مكانته ودوره من هذا الموقع، لذا أبقى علي سيّار على تلك المسافة الضرورية اللازمة بين الجريدة وبين السلطة حماية للاستقلالية والحياد والمهنية، فهي إن انحازت للحكم خسرت شعبيتها، وإن لم تفعل خسرت مصدر تمويلها ودعمها، لعبة توازن دقيقة لم يجدها علي سيّار كما فعل غيره، ومنذ منتصف السبعينات حتى عام 1989 لم يتزحزح سيّار عن أمنيته وظل يرى نفسه رئيسًا لتحرير المطبوعة الثانية في البحرين ولا أحد سواه أجدر وأحقّ وأولى بها.

بعد صدور الصحيفة الثانية في البحرين "الأيام " تبدد الحلم وشعر سيّار بالأسى مجددا ورأى أن وزير الاعلام قد خذله وطعنه وتجاوزه واستولى على فكرته ومشروعه والترخيص الذي يمتلكه منذ سنوات ومنحه لآخرين، فضلا عن أنهم لم يسعوا إليه ولم يطلبوه كما فعل سيّار طوال عمره، هكذا كتب سيّار في أول مقالة تعقيبية بعد الإعلان عن إشهار الصحيفة، وتصوّر الكثيرون أن "صدى الأسبوع" ستغلق بعدها، إلا أنها استمرت، تخسر ولا تربح، موجودة وغير موجودة، فتحولت الى عبء على صاحبها، وفي العام 2000 انتقلت إلى صحيفة «الأيام» ضمن عقد جرى الإتفاق عليه وضمن شروط محددة سرعان ما جرى نقضه فأورثه ذلك حسرةً وحزنًا.

إن المآل الذي انتهت إليه «صدى الأسبوع» لا يختلف عن مصير مطبوعات كثيرة في بلدنا تشي أن فشلها إما كان داخليًا أو خارجيًا أو الإثنين معاً، فالصحافة الحرة المستقلة التي هي جزء من أي نظام ديموقراطي لم تعرفها كل منطقتنا العربية. ظلت مهنة الصحافة أرضًا رجراجة غير مستقرة وغير مطمئنة وغير موثوقة الجانب، لم تعرف الإستدامة والتطور والنمو الطبيعي الخلاق، لذا كان حسبها أن تكون مسايرة للأنظمة كي تنجو وتواصل الرحلة تحت سياط شتى الضغوطات كي تقي نفسها من العقوبات والحبس والحجب والتوقف والإغلاق النهائي.

حين دخلنا زمن الإعلام الرقمي والصحافة الالكترونية الأقل كلفة والأكثر تعبيرا عن حاجة المجتمع، تذكرت أستاذنا الراحل علي سيّار ومحنته وأزمته مع طموحه الصحفي اللامحدود وإمكانيات الواقع الشحيح ماديًا وسياسيًا، ولو عاش سيّار إلى هذا الزمن ربما استطاع نقل مطبوعته إلى هذا الفضاء الواسع، ولوجد أن المطبوعات والجرائد الورقية ينحسر قراؤها يوميًا وتفقد الكثير من مسوغات وجودها، وكل تطور في العالم الرقمي يعجل بنهايتها، تماما كما حدث لمطبوعته التي احبّها ولم يكف يوما عن الأمل في استعادة شبابها وماضيها الزاهر.

يا ثوّار العرب اتحدوا

حراك شعبي واسع يشهده أكثر من بلد عربي. في السودان والجزائر والعراق ولبنان، حراك بين الجماهير المحرومة من أبسط حقوقها المعيشية والاجتماعية والسياسية، ضد الأنظمة السياسية ورموزها الموغلة في الاستبداد والفساد.

جلال إبراهيم

الملاحظ على هذا الحراك الشعبي تمسكه بالوطنية القافزة على كل الأطر الدينية والطائفية والعرقية والحزبية السياسية الضيقة، في مقابل ذلك القوى السياسية التقليدية الفاسدة – داخل السلطة وخارجها – تقاتل بوحشية وتجرد من كل القيم والمبادئ الإنسانية النبيلة، من أجل تثبيت الواقع السياسي والاقتصادي الذي يعزز من استمرار قبضتها المطلقة على مفاصل الدولة والسلطة والمال.

يلاحظ أيضاً على الحراك الشعبي العربي تمسكه بالسلمية في شعاراته ونشاطاته وأساليبه في التعبير عن آرائه وطرح مطالبه، وهي ذو حس وطني عالٍ، وبعد إنساني حضاري راقٍ، بينما يقابل ذلك مستوًى هابط ولا إنساني في تعًامل الطغمة الحاكمة ومناصريها مع جماهير الحراك الشعبي. فالتهم الجاهزة بالعمالة للخارج، والخيانة للوطن، وممارسة العنف والإرهاب والتعدي على الممتلكات الخاصة والعامة، فضلاً عن النعوت البذيئة في حق المتظاهرين، كالزعران والحشرات والجرذان... لا تتوانى السلطة في إلصاقها بالمتظاهرين السلميين العزل .

كذلك ما يميز الحراك الشعبي العربي– بعد ثورات الربيع العربي – عدم القبول بأنصاف الحلول، وبعدم الوثوق في الأحزاب السياسية المنخرطة في الواقع السياسي منذ عقود، والقريبة من السلطة بصورة وبأخرى. لذلك تميز الحراك في الجزائر والسودان بالصبر والحذر الشديد من أي تسوية تطرح أو تُعيد فيها رموز الحكم القديم أو تفرض حكم العسكر على البلاد.

أما في العراق فالأمر أكثر تعقيداً، حيث يواجه الشعب عائقين في التحول الديمقراطي، الأول عدو خارجي على رأسه الأمريكان، والآخر أخطبوط داخلي يتمثل في أحزاب سياسية دينية وعلمانية موغلة في التبعية للعدو الخارجي وفاسدة من رأسها حتى أخمص قدميها.

في حين تيقن اللبنانيون أن لا حلّ في تغيير واقعهم الأسود، إلا في كنس الطبقة الحاكمة الطائفية الفاسدة إلى مزبلة التاريخ وللأبد، وفي إحلال النظام الوطني الديمقراطي العلماني.

على الرغم من بعض التباين بين الحراك الشعبي في العراق والجزائر والسودان ولبنان، وذلك عائد لاختلاف بنية الشعب ومكوناته وطبيعة الظروف السياسية والموقع الجغرافي لكل دولة، إلا أنه توجد قواسم مشتركة تجعل الصورة متشابهة ومتقاربة من جانب آخر. الفقر والبطالة وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، والاستبداد والفساد وانتهاك حقوق الإنسان، كلها حاضرة في هذه الدول. وقد تيقنت الجماهير الغاضبة، أن ليس لها من خلاص من واقعها المأساوي غير الانتفاضة والثورة على هذه الأنظمة السياسية الحاكمة وإسقاطها.

علينا كحراك شعبي عربي أن نتوحد وندعم بعضنا البعض، وأن لا ننساق خلف الخطاب السياسي الذي تبثه الأنظمة السياسية العربية ومن يتبعها من الأحزاب والمثقفين الذين يعملون لصالحها. فهذا الخطاب ينفث سموم الطائفية والعرقية والقبلية من أجل حرف بوصلة الجماهير وحراكها الثوري عن تحقيق حلم الدولة المدنية الديمقراطية التي في ظلها يمكن أن توفر العيش الكريم للمجتمعات العربية وتُعيد لهم العزة و الكرامة.

فيا جماهير/ ثوار العرب اتحدوا ولا تتوقفوا عن تحقيق مطالبكم/ حلمكم .

كيف نُقارب المشاكل؟

قاسم الحلال

كلما اختلف نفر مع مَن يتقاسم معهم العمل والآراء في جمعية أو مؤسسة أو ما شابه، يُحوّلون الأمر إلى احتدام أو تشنج قد يؤدي إلى خروجهم من جمعياتهم، أو يؤسسوا كياناً آخر، لا يفتت ويشتت الجهود فحسب، بل يؤخر العمل النضالي، فيما المطلوب هو خلق الفرص لوضع قراءة جادة لوضع آليات عمل تتناسب والمرحلة الراهنة، وتأخذ بالاعتبار الصعوبات التي لا تزال ترهقنا وتحد من لحاقنا بركب التنوير الثقافي والتقدم.

القرارات المتسرعة هي عادة غير ناضجة فكرياً ولا يضع أصحابها الإستراتيجيات في بالها، واحياناً تريد حسماً على الدوام، فيما الكثير من الموضوعات والقضايا تترك للزمن، حين يتعذر أن تحسم آنياً.

إذا أردنا أن نرتقي نجو الأفضل، علينا أن نعمل على تنمية مجتمعاتنا بجدية وصدق، ونطوّر وعينا، اجتماعياً وتربوياً وسياسيا على حب الوطن والناس، وأن نبتعد عن آفة التشتت والتمزق.

ما يصحّ على الجمعيات يصح على الوطن، حيث نجد القوى الفاسدة تتحايل على ما في الدستور من مواد جيدة، ب(تمطيطها) وتجيرها لمصلحتها، وخصوصاً البرجوازية، صاحبة المؤسسات السلعية، التي يهمها الربح، فالمالك عندما يكون جشعًا يتحين الفرص ويستغل أبناء شعبه، الذين يدفعون الضرائب.

فيما المطلوب أن يكون هناك رقابة على الأسعار ومراقبة الجودة، كما على مؤسسات الدولة ان يكون لها دوراً رقابياً على حركة الأموال، حيث الكثير من غير البحرينيين يمارسون نشاطاً تجارياً غير مشروع على كل الأصعدة.

ولا يمكن مقاربة الكثير من المشاكل دون تطوير التعليم، فالمشكلة أن مدارسنا تُعّلم ولا تربي، فيما يجب أن تكون التربية والتعليم رديفين لكي يتكامل ما يؤديانه من أدوار، ويحققا الغاية المرجوة منهما في تحقيق التنمية البشرية، وتغيير أساليب التفكير باشاعة تفكير عقلاني، وبناء منظومة تجسدّ وتكفل حقوق الانسان وحرياته، تضمنها الآليات الديمقراطية.

بصراحة

موجة جديدة من الاحتجاجات في الشوارع العربية

فاضل الحليبي

هل قدر الإنسان في البلدان العربية بأن يتحمل العذابات والمآسي في ظل أنظمة تمارس القمع والاستبداد وغارقة في الفساد وسرقة المال العام، حيث زاد الوضع سوءاً بعد ما عرف بالربيع العربي في عام ٢٠١١. فمن جهة قُمعت التحركات الجماهيرية المطالبة بالتغيير والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، ومن جهة أخرى برزت القوى الإرهابية المدعومة من بلدان عربية وأجنبية مستغلة الأوضاع العربية السيئة بعد سقوط رؤساء بعض الانظمة العربية.

لعل تونس هي الدولة العربية الوحيدة من بلدان «الربيع العربي»، التي لم تحدث لها مشاكل كبيرة، ورغم ذلك فإن القوى السلفية الجهادية فيها كانت تزود داعش بالمقاتلين، كما تمّ اغتيال بعض الشخصيات الديمقراطية من قبل تلك القوى الإرهابية، أما في بلدان عربية أخرى مثل سوريا، ليبيا، اليمن، فقد حدثت فيها حروب داخلية، واستفادت من هذا الوضع المتأزم العديد من الجهات والأطراف العربية والإجنبية وتصاعد الإرهاب فيها بشكل لا مثيل له، بعد بروز داعش في العراق وسوريا وسيطرتها على العديد من المدن والقرى حيث مارست أبشع أساليب القتل والاغتصاب مما لم يعرفه التاريخ المعاصر، وبشكل خاص مع الأقلية الإيزيدية في سنجار في شمال العراق التي تعرضت لإبادة جماعية، وفي مجزرة قاعدة سبايكر وحدها قُتل 1700 من طلاب القوة الجوية في محافظة صلاح الدين عام 2014 .

أما في مصر وبعد ثورة 25 يناير 2011 التي أسقطت حكم حسني مبارك، فقد استغل الإخوان المسلمون ضعف القوى الديمقراطية والمدنية، ووظفوا قدرتهم التعبوية والمالية والغطاء الديني في استقطاب الجماهير الفقيرة لصالحهم في الانتخابات التشريعية والحصول، بالتحالف مع السلفيين، على الأغلبية في مجلس النواب، ورغم أنه تمّ إزاحة الإخوان المسلمين من الحكم بعد خروج الجماهير بالملايين في 30 يونيه 2013، عادت الترتيبات الجديدة فحملت الجيش ثانية إلى الحكم.

في بلادنا البحرين قضي على تحركات فبراير / مارس 2011، وتمّ تطبيق السلامة الوطنية، وسادت الحلول الأمنية بدلاً من الحل السياسي الشامل للأزمة، وما زال متعيناً، من جهة أخرى، أن تقف المعارضة عند تلك التداعيات لإعادة قراءتها بشكل متأنٍّ لمعرفة الأخطاء التي وقعت فيها، والتي كان بالإمكان تفاديها.

المعضلة الكبيرة في العالم العربي اليوم هو أن مخرجات الانتخابات تدفع بقوى الإسلام السياسي إلى مقاعد البرلمانات العربية، و لكنها هي نفسها لا تؤمن بالديمقراطية ولا بالدولة المدنية التي من خلالها يفترض بأن تمارس عملها السياسي العلني وتطرح برامجها وأهدافها،وإن كانت تختلف في أبعادها السياسية والاجتماعية مع مبادئ ومقومات الدولة المدنية القائمة على التعددية الفكرية والسياسية والتمسك بضمان الحريات العامة والشخصية والمساواة والدفاع عن حقوق المرأة، لكن التجربة أظهرت أن هذه القوى تستخدم التكتيك السياسي لتحقيق أهدافها غير المعلنة لتصل إلى السلطة السياسية في هذا البلد العربي أو ذاك.

شكلت التحركات في السودان والجزائر، بداية موجة جديدة من الاحتجاجات في البلدان العربية.

بدأت التظاهرات الشعبية في مدن السودان ضد نظام البشير في 19 ديسمبر 2018، وتمت الإطاحة به من قبل العسكر في إبريل من عام 2019، ويحكم السودان اليوم مجلس سيادة بالتساوي بين العسكر والمدنيين الذين تمثلهم قوى إعلان الحرية والتغيير، لمرحلة انتقالية لمدة ثلاث سنوات، ويبقى السؤال قائمًا: هل تمر هذه المرحلة بسلام دون منغصات أو انقلاب عسكري آخر قبل الولوج إلى المرحلة الديمقراطية الحقة.

أما في الجزائر فقد بدأت التحركات الشعبية في فبراير 2019 وأطاحت بالرئيس عبدالعزيز بوتفليقة ولازالت التظاهرات تخرج كل أسبوع بالرغم من الدعوة لانتخابات رئاسية في بدأية شهر ديسمبر 2019 .

توالت التحركات الاحتجاجية العربية بعد ذلك. ففي بداية شهر أكتوبر 2019 عمّت بغداد والعديد من المدن العراقية تظاهرات قوامها الأساس الشباب والعاطلون من العمل وجموع من الفقراء ضد الفاسدين وسارقي المال العام، في بلدٍ يُصدر يومياً ثلاثة ملايين ونصف مليون برميل من النفط، ويعيش شعبه في ظروف معيشية غاية في السوء، بل إن العراق هو ثاني دولة منتجة للنفط في المنطقة ، وشعبها يجوع و يعيش الفقر والحرمان ، أيعقل هذا ، يسرقون شعب العراق، لكن رموز المحاصصة الطائفية والعرقية يتقاسمون السلطة ويصبحون أغنياء ويزداد العراقيون الفقراء فقراً، وبدل أن يتجيب النظام لمطالب المتظاهرين واجههم بالقتل، حيث سقط شهداء العديد من الشباب العراقي بالإضافة إلى الجرحى والمعتقلين.

وفي السابع عشر من أكتوبر الماضي هبت الجماهير اللبنانية في كل مناطق لبنان ضد النظام السياسي الفاسد، نظام المحاصصة الطائفية أيضًا، الذي سرق الشعب اللبناني طوال أكثر من ثلاثين عاماً وبلغ الدّين العام المستحق على الدولة أكثر من مائة مليار دولار، فيما الحكومة تريد فرض مزيد من الضرائب لكي تسدد الفاتورة من جيب المواطنين اللبنانيين، فإذا بالشعب اللبناني ينتفض من أجل إسقاط النظام السياسي ويحاسب من سرق أمواله، ولن تنطلي عليه كذبة الإصلاحات الاقتصادية من قبل أركان الطبقة الحاكمة، فقد قال كلمته: حكومة مدنية لا طائفية ومحاكمة سارقي المال العام.

تحمل الموجة الجديدة من الاحتجاجات في السودان والجزائر وبعدهما العراق ولبنان، دروسًا وعبرًا هامة، فهل تتعظ الأنظمة العربية وتتعلم الدرس الأبلغ في سماع صوت شعوبها وتتوقف سياسة الاستبداد والقمع وتطلق العنان للديمقراطية الحقة والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان؟!

لينين بين مدينتين

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وعلى مدى ما يقارب الثلاثة عقود يمضي المجتمع الروسي قدًماً في تكريس هويته الرأسمالية على كافة الصعد. المدن الروسية تتخذ سمات المجتمع الرأسمالي. الاقتصاد الحر بشركاته الكبرى تسيّر كل جانب من الحياة: الصناعة، العمران، الخدمات على أنواعها، المطاعم، المواصلات، المراكز التجارية الكبرى والمعروض بها من بضائع تملكها وتديرها شركات خاصة. تغيّر إيقاع الحياة بكل تفاصيلها. الأجيال التي نشأت في حضن روسيا الجديدة تشكل نسباً ليست قليلة تشمل من أمضى أول شبابه أو أول طفولته خلال آخر عقد سبق انهيار الاتحاد السوفيتي، إضافة لمن ولد بعد الانهيار ويعيش اليوم سني شبابه. تغيّرت وتيرة الحياة ومظاهر وطبائع الروس. الكل يركض سعياً في الحياة والعمل. التجهم يعلو الوجوه. الانصراف عن الأجانب سمة حاضرة. الملابس تحاكي آخر صيحات الموضة العالمية.

فوزية مطر

موسكو العاصمة الواسعة الشاسعة، واحدة من أكبر مدن العالم مساحة وجمالاً طالها التغيير بدرجة واضحة. بمعية الضخامة والفخامة المعمارية التي ميّزت موسكو السوفيتية، تعمّ المدينة مظاهر العمران الحديث في مختلف مناطقها من مجمعات سكنية إلى فنادق ومؤسسات رسمية وشركات كبرى خاصة. يسير الزائر في شوارع موسكو كأنه يسير في أي مدينة أوربية.

ثمة مفارقة هنا تفرض نفسها. لا تزال أنفاس لينين قائد الثورة البلشفية ومؤسس الدولة السوفيتية الاشتراكية باقية في غير موقع من العاصمة الروسية الماضية قُدماً في استكمال ملامحها الرأسمالية. لا يزال ضريح لينين باقياً في مكانه في قاعة صغيرة بجهة الكرملين المطلة على الساحة الحمراء، رغم إزالة أضرحة بعض الزعماء الآخرين. لم يزل طابور المواطنين الروس والأجانب من كل حدب وصوب طويلاً ينتظم الواقفون فيه منتظرين دورهم لدخول الضريح ورؤية الجثمان المسجى منذ خمسة وتسعين عاماً. وأي طابور، فهو يمتد من زاوية ساحة مسرح البولشوي صعوداً نحو الساحة الحمراء. يُفسحُ للمصطفين في الطابور الدخول في مجموعات متتالية، تخرج مجموعة لتدخل أخرى. وعلى الداخل للقاعة أن يمر مروراً بطيئاً لا وقوف فيه حول الصندوق الزجاجي الذي يغطي الجثمان المسجى بكامل ملابسه.

الكثير من الواقفين في الطابور من الروس الشباب ممن ولدوا إما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أو كانوا أطفالاً أو في أول شبابهم خلال السنوات الأخيرة قبل الانهيار. لم يزل العرسان من الشباب الروسي حريصين على زيارة الضريح كأحد الطقوس الأساس التي لم يتخل عنها الموسكوفيون في برنامج يوم الزفاف. العروس بفستان عرسها الأبيض الطويل والعريس ببذلة عرسه الأنيقة يرافقهما أقاربهما. يلتقط العروسان الصور في الساحة الحمراء، ثم ينتظمان في الطابور منتظرين دورهما لدخول الضريح.

ليس الضريح فحسب، فما زالت تماثيل لينين تنتصب في ملمح مبهرٌ بعدد من الساحات والمعالم التاريخية الكبرى بالمدينة. ترى التمثال الضخم يقفُ شامخاً بسترته أو بمعطفه المفتوح فوق السترة، رافعاً أحد ذراعيه للأعلى، أو رافعاً رأسه بزاوية نحو الأفق. وعدا عن التماثيل، لا يزال وجه لينين المنحوت باقياً يتوسط المداخل الحجرية الضخمة لعدد من المعالم والمنشآت والحدائق.

في مفارقة أخرى ملموسة، تكاد المدينة التي حملت اسم لينين خلال الحقبة السوفيتية تخلو من تماثيله ومن وجهه المنحوت. لينينغراد سابقاً وسانت بطرسبرغ حالياً، المدينة الروسية الكبرى الثانية المميزة بعمران الحقبة القيصرية. في كل جادة أو ساحة أو زاوية تماثيل تحكي تاريخها القيصري والمسيحي الأرثوذكسي. مركز المدينة يحتفظ بسماته التاريخية والمعمارية التي تميّز بها منذ تأسيس المدينة مطلع القرن الثامن عشر. لم تزل جادة «نيفسكي» بقلب المدينة وكذلك الشوارع المطلة على نهر النيفا والروافد العديدة المتفرعة منه بجسورها الكثيرة، لم تزل تحتضن المباني المتلاصقة بطرز معمارية متنوعة تميّز كل بناية عن الأخرى الملاصقة لها، وتختلف عنها في اللون. سمات العمران الحديث اقتحمت فحسب أطراف المدينة وضواحيها الجديدة. أما سكان المدينة فقد طالتهم التغيّرات ذاتها المميزة لنمط ومظهر حياة المجتمعات الرأسمالية.

لماذا يظلّ ضريح لينين مؤسس الدولة السوفيتية باقياً ومزاراً للمواطنين والزائرين والسواح على مدى العام. لماذا تظل تماثيله تزين بعض الساحات الكبرى في موسكو عاصمة روسيا في حقبتها الرأسمالية. التفسيرات والتخرصات تذهب لأكثر من سبب. الدولة الروسية اليوم وهي تنهض مستعيدة مكانة عالمية غابت بانهيار الاتحاد السوفيتي، بحاجة لاستلهام عظمة الدولة السوفيتية التي وقفت نداً موازياً للولايات المتحدة الأمريكية لتتزعما العالم. وموسكو عاصمة الدولة السوفيتية والشاهد على عظمة حقبتها. من جانب آخر، لا تزال موسكو أكثر مدينة روسية تتوفر على مؤيدي الحقبة السوفيتية وهم يشكلون نسبة لا يستهان بها في المدينة. وذلك قد يجعل السلطات تتردد أن تزيل ما يحيي ذكرى رمز الدولة السوفيتية.

غير ذلك، فإن من سمات الروس شيبهم وشبابهم ثقافتهم التي أسس ويؤسس لها نظامهم التعليمي ومناهجهم الدراسية. الروس شعب قارئ ولديهم عمق معرفة بتاريخهم واحتفاء كبير وظاهر بتراث أمتهم التاريخي برموزه ومظاهره المادية والمعنوية. وليس أدلّ على ذلك من أنه حتى خلال الحقبة السوفيتية كان الشعب الروسي يحتفي ببطرس قيصر روسيا العظيم. وكان يتغنى بحب شعراء روسيا القيصرية من طبقة النبلاء القريبة من البلاط القيصري كبوشكين شاعر روسيا العظيم الذي يمجده ويعشقه كل الروس وليرمنتف وغيرهما. اليوم تتحول مظاهر الحقبة السوفيتية ورموزها إلى تراث ثقافي وتاريخي باقٍ في وجدان الشعب الروسي تحتفي به وتتوارثه الأجيال.

أما سانت بطرسبرغ فهناك عظمة تاريخية أخرى تستدعيها وتضيفها روسيا اليوم لرصيدها التاريخي والحضاري وتتطلع لاستلهامها وتخليدها، هي عظمة الحقبة القيصرية الحاضرة بقوة في آثار ومعالم وقصور ومتاحف مدينة سانت بطرسبرج.

اليوم وبعد ثلاثة عقود على انهيار الاتحاد السوفيتي يبدو أن ضريح لينين سيبقى في قاعته الصغيرة بطرف الكرملين، وستظل تماثيله تزيّن غير ساحة موسكوفيَّة. ربما سيبقى التمثال منتصباً ينعم بسكينة الخلود، يتغطى ببياض ندف الثلج القطني شتاءً ويستقبل شمسه الناعمة اللمسات. ستظل أنحاؤه تغتسل بزخات مطر الخريف، وتعبق بأريج زهور الربيع في أحواض تحيط بقاعدته.

قَد يشعر الزائر بالرهبة والعظمة في حضرة الجثمان المسجى وأمام التمثال المنتصب، لكن لن يفارقه بالطبع اليقين بأنه كان زمناً ومضى وغدا تاريخاً انقضى.

(قف)

الحرب التجارية بين أمريكا والصين

هناك عبارة شائعة في علم السياسة، مفادها أنه لكي تكون قارئاً سياسياً جيداً، عليك أن تكون أولاً قارئاً تاريخياً جيداً، وهي مقولة تصدق إلى حد كبير على دراسة واقع المجتمع والدولة في الوطن العربي المعاصر.
فمن غير الحكمة والموضوعية أن تتجاهل – ونحن ندرس الإشكاليات المجتمعية العربية الراهنة...تاريخاً طويلاً من (الفتن) والاضطرابات والمنازعات الأهلية والداخلية. قبل أن تتدخل القوى الاستعمارية والمخابرات الأجنبية لتؤججها او لتستغلها او حتى لتختلقها بأساليب وألاعيب وحيل مختلفة في العصر الحديث. هذا ما كتبه د. خلف جرّاد في جريدة (النور) السورية.

فهد المضحكي

في ظل مؤشرات حذرة بشأن إمكانية التوصل إلى حلول بين الصين وأمريكا، فإن التكهنات تسير في أكثر من اتجاه وإن كان ثمة ما يجمع بينهما، فهو أن الحرب التجارية بين العملاقين ستسعر عاجلاً ام آجلاً.

تخوض الولايات المتحدة معاركها الاقتصادية على أكثر من جبهة، لكن الصين تبقى هدفاً اساسياً لها، في حرب متجددة باتت تحتل المرتبة الأولى في سياسات الرئيس رونالد ترامب، الآتي من عالم الأعمال لتعزيز نفوذ «امبراطورية» تستشعر مخاطر التحولات في الاقتصاد العالمي.

لطالما نظرت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى الاقتصاد الصيني كخطر يهدد مصالحها، لكن أحداً لم يكن في وارد الدخول في حرب اقتصادية كتلك التي يخوضها ترامب حالياً، وذلك لاختلاف التوقعات بشأن التبعات الخطيرة لهذا الخيار.

وبحسب ما ذكر أحد المواقع فإن ترامب يبدو مصراً على الذهاب بعيداً في الحرب ضد الصين مدفوعاً بقناعة راسخة، عبّر عنها بسيل من التصريحات، حتى قبل سنوات من دخوله البيت الأبيض ويمكن رصد أولها في تغريدة له تعود إلى سبتمبر عام 2011، اعتبر فيها أن «الصين ليست حليفاً او صديقاً – إنهم يريدون ضربنا وامتلاك بلدنا».

الرئيس الأمريكي ترجم هذه المواقف بعد انتخابه بإجراءات عملية، فبعد أجواء تفاؤلية سادت العلاقات الأمريكية الصينية في مطلع عهده، اتخذت إدارة ترامب أولى الإجراءات التصعيدية ابتداءً من إبريل عام 2018 بإقرار رسوم الضمانات العالمية، التي أعقبتها سلسلة من القرارات واللوائح التنفيذية بين 10 و25 في المئة، ودخلت حيز التنفيذ من النصف الثاني من العالم الفائت، واستدعت حزمة من الردود الصينية المقابلة، هكذا دخلت القوتان الاقتصاديتان العالميتان في نزاع ثمة اجماع على تسميته ب «الحرب التجارية» باستثناء رجل واحد وهو ترامب نفسه الذي كتب في احدى تغريداته «نحن لسنا في حرب تجارية مع الصين».

هذه الحرب خسرناها منذ سنوات على أيدي بعض الحمقى، أو الأشخاص غير الأكفاء الذين مثلّوا الولايات المتحدة». في الواقع ثمة أسباب عدّة تجعل ترامب راغباً بالذهاب إلى التصعيد أكثر منه إلى التهدئة، فالصين تعتبر اليوم المنافس الاقتصادي الرئيسي للولايات المتحدة، وهي «أحدث تجسيد لنموذج شرق آسيا من رأسمالية الدولة، التي كانت سمة رائدة لليابان من خلال التصنيع والتنمية خلال القرن التاسع عشر»، بحسب هاربر.

تسببت الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين في إطلاق العديد من التعليقات، إذ أن الرواية الرسمية التي يتم تداولها بين أروقة مؤسسة الخارجية الأمريكية، هي أن الولايات المتحدة كانت قد تعاملت مع الصين بطريقة خاطئة عبر عقود طويلة. ومفادها ان التجارة سوف تضعف حكومة البلد الشيوعية، كما أنها ستجلب المزيد من الحريات السياسية للصين.

لكن الخبيرة في السياسة والاتصالات وعضو مجلس المستشارين لمعهد «الكيربوث لوس» للسياسات، يانج ما، أفادت بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد ساعدت الصين على الإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة الروابط التجارية والاقتصادية بين البلدين بشكل جذري.

ونقلاً عن صحيفة «الاستقلال» قالت الخبيرة في مقال لها في صحيفة «ناشونال انترست» الأمريكية بات من المؤكد إن الصين خيبت آمال الولايات المتحدة سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي إلا أنه من الواضح أنه لكي تصل أمريكا إلى حلول جذرية للمشكلة مع الصين يتطلب من صانعي السياسة الأمريكيين أن لا يصابوا بفقدان الذاكرة.

وفي هذا السياق شددت على أنه بات من الواضح أن هناك توافقاً كان قد برز جلياً بين اليمين واليسار يفيد بأن الصين لم تعد المسؤولة عن النظام العالمي الجديد، كما أوضح نائب وزير الخارجية الأمريكي، روبرت زوليك في عام 2005، حين قال: «لاشك في أنه في حال استمرار النمو الاقتصادي فإن الأثرياء الصينيين سيرغبون في أن يكون لهم رأي ودور في صنع سياسة بلدهم وبناء منظمات ضغط للوصول إلى الإصلاح السياسي».

وفي الوقت الراهن أوضحت يانج ما، أن الإدارة الأمريكية الحالية برئاسة ترامب ترى أن كل الرهانات والفرضيات السابقة اثبتت خطأها، ففي استراتيجيتها القومية لعام 2018، عبرت الإدارة الأمريكية عن احباطها من المردود من العلاقات الصينية الأمريكية.

وأضافت: إنه لعقود طويلة كانت الاستراتيجية الأمريكية المتجذرة في أعماق السياسة الأمريكية تجاه الصين تقول إن دعم نمو الصين الاقتصادي، واندماجها في النظام العالمي الجديد ما بعد الحرب من شأنه أن يُحرّر الصين ويُحوّلها إلى دولة ليبرالية بدلاً من ذلك فإن الصين الأقوى والأغنى تريد تأسيس نظام عالمي جديد متناقض شكلاً وموضوعاً مع القيم والمصالح الأمريكية، فهي تسعى إلى ابعاد الولايات المتحدة عن منطقة المحيط الهادي والهندي، وصبغ اقتصاد هذه المنطقة بصبغة الاقتصاد الصيني الذي تديره الدولة، بالإضافة إلى إعادة تشكيل المنطقة وفقاً للقيم والمصالح الصينية.

وأوضح المقال، أنه في حين يبدو كل ما ذكر صحيحاً، إلا أن التحرر وتحويل الصين إلى النموذج الليبرالي لم تكن وعوداً قطعتها الصين على نفسها للولايات المتحدة، ففي الوقت الذي تبنى فيه الحزب الشيوعي الصيني إصلاحات ضرورية للنمو الاقتصادي وتحديث الدولة لم يذكر أو يعد ابداً بأن سيتخلى عن الحكم في حال النمو الاقتصادي والثراء.

تتوقع مراكز الأبحاث الدولية والأمريكية أن ينخفض معدل نمو الاقتصاد العالمي إلى 29٪ عام 2019، بسبب ارتفاع مخاطر التوترات التجارية وتراجع معدلات التجارة والتصنيع على الصعيد العالمي، وتلقي الحرب الصينية الأمريكية بآثارها على المستثمرين حول العالم مما يدفع مؤشرات أسواق المال والبورصات الكبرى إلى التراجع جراء عدم اليقين على مستقبل الاقتصاد العالمي.

حول الدور الراهن والمهام المستقبلية للفلسفة بحثاً عن الزمن الضائع

بقلم:
Boris Vezjak

ترجمة:
غريب عوض

يقول بورس فيزجاك Boris Vezjak المُحرر في مجلة "الحِوار Dialogi"، الفلسفة: ما فائدتها؟ إنها مُعقدة، حيثُ أنهُ يتساءل ما الذي يمكن القيام بهِ فيما يتعلق بحقل من التساؤل يبدو إنه مُنفصل تماماً عن العالم.

في هذهِ الأيام، يبدو إن إجراء تحقيق مُفصّل حول ما يفعلهُ الفلاسفة هو جزء من سِجل التفلسف نفسه. إن أولئك الذين يعملون في مجالات العلوم الطبيعية والتكنولوجيا، بشكل عام، لا يُشاركون في نفس النوع من التفكير في نشاطهم؛ إنهم يعتبرون ذلك غير ضروري، كما هو بالنسبة لهؤلاء في العلوم الاجتماعية والإنسانيات، ولو بدرجة أقل. ومن خلال هذا الخط من التساؤل نتوقع في الغالب أيضاً توضيحاً لماهية الفلسفة. ولمعرفة ما يفعلونه، يُحاول الفلاسِفة تحديد المادة العلمية. يتمُ طرح هذا التحدي مِراراً وتِكراراً لِكُل من يبدأ في دراسة الفلسفة وكذلك لأولئك الذين لا يدرسونها. عندما نُفكر في المكانة الاجتماعية للفلسفة وفائدتها العامة، لا يمكِنُنا تجاهل المُعضِلة الأولية المُتَمَثِلة في جوهرها وتعريفها.

قبل فترة وجيزة من وفاتها المأساوية المُبكِرة في عام 1995، كتبت الفيلسوفة جيلين روز Gillian Rose:

لكي يُصبح المرءُ فيلسوفاً لا يحتاج إلا لثلاثة أشياء. أولاً، تآكلٌ فكري لا نهائي: فضول لا نهاية لهُ حول كل شيء. ثانياً، القدرة على الانتباه: أن تكون مُستمتِعاً بما هو أمامك دون أن تغتنمها لنفسك، الحِرص على التركيز في الطريقة التي قد تنظر بها عن كثب، دون أن تلمس، عندما ترى ذُبابة الدانتيل الخضراء، جاثِمة بصمت على جِدار المطبخ. ثالثاً، قبول وعدم التباس (الشك): أنهُ قد لا يكون هُناك حلول للأسئلة، فقط توضيح بيانها. الشك والإنتباه والقبول.

وبطبيعة الحال، إن الفلسفة هي أكثرُ من مُجرد مجموع هذهِ الأجزاء، والتي لا يمكن إيجاد حلول منها. لا يمكننا أن نقصِرُها إلى مُجرد وصف نفسي للتساؤل عن سبب قضاء شخصٌ ما حياتهِ في السعي لتحقيق الحِكمة. ربما تُشيرُ التكهُنات التي لا تنتهي حول ما تفعله الفلسفة بالضبط إلى الرغبة في التأمل الذاتي. ومع ذلك، تُظهره مُقاربة أكثر أهمية بعض الشيء أنهُ حتى الآن لم ينعكس بشكل كافٍ على نشاطها، وربما يكون التهرب من التعريف هو جزء من مصيرها. ويمكن أن يكون الأمر حتى أسوء من ذلك. فالشكُ يمكن أن يكون لهُ ما يُبررهُ. فبعض المُتشككين في الفلسفة سيقولون أن جزءٌ كبير من الفلسفة لا يستحق حتى ذلك الإسم لأنهُ لا يحاول تلبية أدنى مُتطلبات الفلسفة: التماسك الداخلي والمنهج الواضح. سيكون ذلك في الحقيقة ضروري إذا ما أردنا أن نتفادى أعظم المخاطر، قابلية مُطابقة أي نوع من 'التفلسُف' مع الفلسفة. وبهذهِ الطريقة ربما تُساهم الفلسفة أيضاً في ما يمكن أن نُسميه 'رفضها لمصيرها'، خضوعها لتحيُّزاتها الذاتية، الرفض من قِبل العامة، ومُحاولات عزلها كشكل خِطابي. وحتى عندما تتفادى بنجاح مثل هذهِ الانتقادات، هناك خطر آخر يلوح في الأُفق: تبقى الفلسفة كيف ما كانت دائماً أو تُصبح 'فلسفة الكُتب والمراجع بعيدة عن الخِبرات والتجارب'.

يُريدُ الفلاسِفة المُحترِفون إجابات لقضايا غالباً ما تكون تجريدية عامة ولكنها مع ذلك مُهمة لفهم تركيبة العالم والمجتمع والبشرية. وتأسيساً على النتائج التي توصلوا إليها قاموا بصياغة نظريات تفصيلية منهجية. غير أنهُ أحياناً لا يذهبون إلى أبعد من ذلك. وستكون الخطوة التالية هي التخلص من الإجابات الضعيفة ووضع إجابات أكثر إقناعاً، والاستشهاد بأمثِلة مُحددة للسؤال الذي تم فحصه، وإخضاعها للتحقق والبحث عن أمثلة مُضادة. وغالباً ما يفشلون في القيام بذلك.

تُحقق الكثير من المزاعم والنظريات اعترافاً وترويجاً غير مُستحَق دون التحقق منها. بالطبع، في العديد من الحالات، من المستحيل القيام بذلك باستخدام المنهج العلمي، أو حتى المبدأ العلمي. فبعض النظريات تُصبح ناجحة بسبب عوامل خارجية، أو حتى بسبب طبيعتها وسخافتها المُتناقضة.

ونتيجة لما تقدم، تواجه الفلسفة صعوبتين من تلك التي بداخل وخارج شكلها المؤسسي الصارم. فصعوبتها المؤسسية الداخلية هي، بلا شك، رِضاها الذاتي المُتسرع. وكما يُجادل الكاتب Timothy Williams، تتضمن المناهج التقليدية للفلسفة فِكر، ولكن لا تفاعل مع العالم في شكل مقياس ومُراقبة وتجريب. فالفلسفة تصبح سريعاً مهنة مكتبية نتيجة لذلك. غير أنهُ، حتى بالنسبة لهذا الصدد، ليس هُناك إجماع. العديد من الفلاسِفة لا يتفقون مع هذا النهج، فهم يرفضونه لأنهُ تحليلي مُقيد للغاية لفهم جوهر الفلسفة.

يعتقد الكثيرون في مُهمة أقل طموحاً للفلسفة. فهم يعتقدون أن مهمة الفلسفة هي ليست وضع النظريات وإنما تُسلط الضوء على الأدلة والإلتباس والأخطاء، وتُخضِعُها لعملية التحقق من صحتها أو وضوحها. بالنسبة لآخرين، لا شيء مما سبق صحيح. ففي هذهِ الحالة، يقول الكاتب Slavoj Žižek، إن الفلسفة هي ليست إيجاد الحلول، وإنما هي طرح الأسئلة وهذا فقط. وتنطبق هذهِ المُعضلات بالفعل على الفلسفة الأكاديمية، ولكن الأمور أكثر فوضوية خارج الأكاديمية.

هل من الصعب للغاية القول أن حقل الفلسفة يتشكل فقط بما يفعلهُ الفلاسِفة المُحترِفون؟ في الوقت الحاضر، كحقل دراسي مُعتبر، لقد نظمت الفلسفة معرفتها ووجودها، ولفترة طويلة لم يتم حجزها فقط لنشاط الهواية والفضول العشوائي للفرد الذي ألمحت إليه الفيلسوفة جيلين روز. وبعد مرور آلاف السنين أصبحت كنزٌ دفين من المَعرفة؛ يتم تدريسها في أرقى الجامعات والمعاهد العلمية حول العالَم، وأصبحت جزء من المنهج في المدارس الإبتدائية والثانوية، وهُناك آلاف من معاهد البحث العلمي. لقد شكّلت جزءاً مُهماً من معرفتنا وفهمنا للعالم وللمجتمع، وكان لها تأثيرٌ دائم على تطور الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ولعبت دوراً مُهماً في التطورات السياسية والاجتماعية.

لقد احتلت مساحة مُعينة، وإن كانت هامشية، في المجتمع وبين عامة الناس، والجامعات والمساعي غير الأكاديمية. هذهِ هي الجهة التي تأتي منها القضايا الخطيرة. في الفلسفة، أكثر من أي مجال آخر، ليس من الواضح ما إذا كان بقاؤها مُرتبطٌ بالضرورة بالشأن الأكاديمي فقط. وبإمكاننا حتى أن نتساءل فيما إذا كان هناك شيءٌ في طبيعتها يُلزِمُها حتماً من هذا النوع من المواقف ويتجنب التأسيس المؤسسي. مضى أكثر من قرن من الزمن حينما نشر الفيلسوف الأمريكي جون ديوي John Dewey مقالاً بعنوان "الحاجة إلى إستعادة الفلسفة". هُنا يتفحص بشكل دقيق دور الفلسفة في بداية القرن العشرين في الحياة الأمريكية. فهو يُعبر عن اهتمام عميق بطبيعة الفلسفة المُتعِبة غير المتوافقة زمنياً، التي انصرفت بعيداً عن الاتجاهات السائدة في الحياة الحديثة. جون دوي غاضبٌ من الكيفية التي أصبحت بها الفلسفة مُجرد مجالاً ضيقاً للخُبراء المُتخصصين الذي يقضون الكثير من الوقت في النِقاش من أجل النِقاش بدلاً من تكريس أنفسهم للمواضيع التي تطرحها "الحياة الحديثة".

تبدو هذهِ المُلاحظات مألوفة حتى اليوم! في كتاب "سقراط مُثابر": معاهد فلسفة القرن الحادي والعشرين"، يُجادل كُلٌ من Bob Frodeman و Adam Briggle، بأن الفلسفة المهنية نأت بنفسها عن جذورها الحقيقية. وهُما يُجادلان، بأن سُقراط لن ينتهي بهِ المطاف قط في قسم الفلسفة حتى لو أراد ذلك. لن تقتصر مقاومته على تنظيم الأدب الثانوي والبحث عن الاستشهادات ومراجعة المُحاجات التي تفي بمعايير المراجعات في المجلات الأكاديمية؛ بصفتهِ شخصاً قضى حياتهِ في إجراء مُحادثات مع زُملائه المواطنين في ساحات أثينا، فمن المحتمل أن يحتجّ على ما يتم طرحهِ اليوم بإسم الفلسفة.

يُشخّص Frodeman و Briggle علم أمراض الفلسفة المُعاصرة ويسألان عما إذا كان الفلاسِفة الأكاديميين على استعداد لمُساعدة المجتمع من خلال تأمُلاتهم. يتقدمان بأطروحةٌ إستفزازية: يقولان، ينبغي على الفلسفة أن تتجنب حبس نفسها في أقسام الفلسفة لتُصبح 'فلسفة ميدانية'.إتُخِذت هذهِ الفِكرة كنقطة انطلاق لهذا العدد من مجلة Dialogi (الحِوار). وهذا يعني، لمُناقشة مسألة ما الذي تفعلهُ الفلسفة وكيف تفعل ذلك. نحنُ نهدف إلى مواجهة موقعها في الفضاء العام، ومكانتها في المجتمع

الحديث (في داخل المجال الأكاديمي وخارجه)، وتحديداً في سلوفينيا Slovenia كحالة خاصة. وتتضمن الأسئلة: ما مدى نجاحها كنشاط عام؟ كيف تُقاوم مطالب "عدم التفكير"؟ وكيف تُفكّر في شروط نشاطها الخاص بها؟

الرأسمالية المالية للبرالية الجديدة، وأيديولوجيا الإستهلاك، والعدمية السائدة قد غيّرت أيضاً دور الفلسفة السابق. هل تغيّر تصوّر الفلسفة في الفضاء الاجتماعي والتربوي أو الاقتصادي؟ هل ازداد تهميش موقعها؟ كيف هي الفلسفة كفرع من المعرفة وكيف يستجيب أولئك الذين ينتمون إليها لتحديات العصر؟ هل بقيت مُنعزلة في بُرجُها العاجي؟ كيف تظهر في العمل؟ وكيف هي تُظهرُ الحوادث من حولها؟ وهل فضاء حياتها المؤسسية مفتوح أم مُغلق؟ كيف يقبل الفلاسفة بوضعية المُثقفين العموميين ومُفكري التغيير الاجتماعي بينما يتعرض موقع الفلسفة في نظام التعليم للتهديد أو الإزالة بالكامل؟ ما الذي يجعلها لا تزال لا يمكن الاستغناء عنها حتى اليوم، عندما تكمن أسئلة فائدتها في أساسها القديم وكان عليها أن تُدافع عن نفسها باستمرار ضد الانتقادات التي لا صلة لها بالموضوع؟ وأخيراً، هل ينبغي عليها ترك المؤسسات الأكاديمية، وإذا كانت الإجابة بنعم، لماذا لا تفعل ذلك؟

إن المشاكل لا حصر لها. بالنسبة للبعض، الفلسفة في حد ذاتها على خطأ. وبالنسبة لآخرين هي ليس كذلك. ولكن في الغالب، كلاهما على حق. يتم تقليص تمويل الدراسات الإنسانية في جميع أنحاء العالم، وأصبح التوظيف المنتظم والتمويل العام في هذا المجال أكثر تعقيداً على نحو مُتزايد. ويُطالب التمويل الحكومي بشكل مُتزايد بإجراء البحث حتى يكون لهُ تأثيرات قابلة للقياس بشكل مُباشر وأثر اقتصادي ملموس.

بالرغم من أن ثقافتنا المُعولمة على نحو مُتزايد، بجميع اختراقاتها التكنولوجية وتقدمها العلمي، تُثيرُ مُعضِلات وجودية وأخلاقية وسياسيّة التي ينبغي على الفلاسفة التصدي لها، إلا أن الأزمة قد اكتسحت الفلسفة.

فمن ناحية، تجدُ الفلسفة نفسها في مكان غير مستقر في جامعة الليبرالية الجديدة، وينعكس ذلك في موقف مُعادي على نحو مُتزايد تجاه نماذجها الاعتيادية. وفي مجتمع يطلب منا إثبات منفعتنا وفقاً لتأثيرات قابلة للقياس، فإن الفلسفة كغاية في حد ذاتها يُنظر إليها على نحو مُتزايد بأنها مصدر إزعاج.

صرحت مؤخراً، نائبة رئيس جامعة Maribor، علناً في مقال لها في صحيفة Vecer، "إننا نُعيد توجيه الفلاسفة إلى الطب وعلوم الكمبيوتر. "لقد كانت تُشيرُ إلى عدم مُلائمة بعض المُقررات الدراسية وعجز بعض المهن عن توفير العمل. ومن المُفارقات أن Frodeman و Briggle يُقدمان فكرة مُماثلة من منظور مُختلف تماماً. فهما يتساءلان عن سبب تناول الفلاسفة بإسهاب وتفصيل لموضوعات "داخلية" صعبة مثل الميتافيزيقيا، بينما بإمكانهم مواجهة نفس المشاكل ذاتها بمُجرد قراءة صحيفة الأخبار؟ وقدّما مثالاً بمقال في صحيفة Washington Post حول مريض يتناول دواء للقلب برقاقة مخفية. والرقاقة مَوصولة بجهاز كمبيوتر يستطيع المريض وطبيبه من خلالهما معرفة ما إذا كان تناول الدواء. ثم تصف القصة مُستشعرات النانو والتي ستُطرح قريباً في الأسواق: سوف تسبح في مجرى الدم وتكتشف علامات نوبة قلبية قبل حدوثها. هذه أسئلة تندرج تحت عنوان "الوجود والهوية" في دليل أكسفورد للفلسفة.

يستنتج فرودمان وبريغل أن هذا لا يتعلق فقط بالأدوات الطبية الجديدة، بل يتعلق بالأسئلة الميتافيزيقية الجادة حول "الذات"، والحدود بين "الكائن الحي" و"الآلهة، والمشاكل المُشابهة. في الثمانينيات من القرن العشرين، أدى ما يُسمى ب "الفلسفة التطبيقية"، كما لاحظا، إلى الاهتمام بأخلاقيات بيئية وأخلاقيات بيولوجية.

إن 'حقل الفلسفة' الذي يقترحانهُ، في رأيهما، سيُتيح للفلسفة الهروب من الأقسام الجامعية وتتنقل بين الجامعة والحقول غير الأكاديمية. وحين إذ بإمكانها الاتصال بالمنظمات غير الحكومية وبالمختبرات وبالمجتمعات وبالشركات وصُناع القرار السياسي.

ويُجادلان، بأن بإمكان الفلاسفة أن يكونوا جزء من الأقسام الأكاديمية الأُخرى، مثل الطب والحقوق أو العلوم. وسينعكس انتقالهم من خلال التعاون مع المُتخصصين من هذه المجالات. وبهذه الطريقة، يمكن للفلسفة أن تتخلص من بعض الانتقادات.

ومع ذلك، يمكننا أن نتخيّل أن بعض التقاليد الفلسفية ستحتج بِشدة على اندماج الفلسفة مع العِلم. وقد يعتقدون أن هذا يدلُ على فقدان الفلسفة لاستقلاليتها. وربما يعتقدون أنهُ غير مُناسب، بالنظر إلى طبيعة الفلسفة. وفي نفس الوقت، غالباً ما تفشل الفلسفة في التعامل مع قضايا كُبرى في زمننا هذا. وإذا فقدت الفلسفة أي مكانة لها حالياً في المجتمع، فسوف يقع اللوم على الفلاسفة أنفُسُهُم.

مُنذُ ما يزيد على خمسون عاماً مضت، كتب المُفكر الأمريكي نعوم تشوميسكي يقول أن تقوية نزاهة الحياة الفكرية والقيم الثقافية هي المُهمة الأكثر إلحاحاً والأكثر أهمية للجامعات والتخصُصات الأكاديمية. وتوقع أن يأخذ الفلاسفة دوراً قيادياً في هذا. وقال، إذا لم يفعلوا ذلك، فهم يتنازلون عن مسؤوليتهم. وهُنا يجب أن نسأل، هل على الفلاسفة مثل هذه المسؤوليات؟ ولماذا هي مسؤولياتهم هُم وليس آخرون؟

عادةً ما يوجه الفلاسفة المُحترفين أنشطتهم الأكاديمية نحو البحث العلمي والتدريس – وهذا تماما ما كان سيُزعج سُقراط. إلا إن مُشكلة تشومسكي أكثر إتساعاً، نظراً لأن علينا مسؤوليات تجاه السياسة الداخلية والدولية بصرف النظر عن تلك المسؤوليات المُناطة بنا كمواطنين. وتنشأ هذه المسؤوليات المُحددة من المهارات الخاصة التي تُميّز الفلاسفة عن عُلماء الأحياء أو الرياضيات، على سبيل المثال. لماذا؟ لأنهم نسبياً في وضع أفضل. ليس هناك مِهنة أُخرى تقدم أداة أفضل لتحليل الأيديولوجيات ونقد المعرفة الاجتماعية. فالتحليل الفلسفي في النهاية، هو مفتاح فهم الأزمة الاجتماعية والثقافية العالمية الراهنة.

وينبغي أن تكون هذه المسؤوليات أكبر اليوم من أي وقتٌ مضى. كيف كانت استجابة الفلاسفة؟ كانت استجابة سيّئةٌ جداً. الفلسفة لم تف بالحد الأدنى من الإلتزام الذي يجب أن تُفكر في علاقتها بالجمهور عندما يسأل الناس عن منفعة الفلسفة.

هل الفلسفة في حاجة اليوم إلى 'لحظة سُقراطية، أُخرى؟ هل ينبغي عليها أن تعود إلى المُثُل السُقراطية للفيلسوف المُتأصِلة في السياسة والشأن العام، المُتكيّفة مع الاحتياجات الحديثة؟ ليس بالضرورة. إن الأمور ليست بهذه البساطة. من الصحيح تماماً أن نقول إن إحدى سمات الفلسفة الأساسية هي المُشاركة العملية في الشؤون العامة هي إحدى السمات الفلسفية الأساسية. إن هذه المُشارَكة كما يُوضح مِثال سُقراط، تسبق تحولها المؤسسي. ولكن هذا ليس معناه أن ليس هُناك مشكلة تماماً. ربما في الحقيقة، ليس من الدِقة تماماً القول أن الفلسفة الحديثة، في شكلها المؤسسي الحالي، قد تخلت عن وظيفة المصلحة العامة بشكل نهائي. في النهاية، إن المُشكلة تكمن فعلاً في إضفاء صفة المثالية إلى سُقراط التاريخي. وحتى الأطروحة التي أراد لها أن تتعامل مع الشأن العام قد لا تكون صحيحة. لقد تجنب سُقراط السياسة عمداً، نظراً لأنهُ اعتبر أن الحُكام الظالمين لن يتسامحوا مع شخص مثله. المُحادثة مع زُملائه المواطنين في ساحة المدينة لا علاقة لها بالتدخُل في النسيج السياسي المُباشر في المدينة. وفي الوقت نفسه، لم يرفض مثل هذه المُناقشات بشكل مُباشر.

في أية مُناسبة، سُقراط في ساحة المدينة هو المُناهض لأطروحة الفيلسوف التنظيري. ومع ذلك، فإن زيادة مُشاركة الفلاسفة في الشأن العام لوحدها لن تكون بالضرورة كافية لاحتياجاتنا. ليس واضحاً كيف بإمكانهم المُساهمة في تغيير مناخ اجتماعي إعلامي غير عقلاني بشكل مُتزايد، والذي تآكلت فيه مكانة المُفكر العام وتم تهميشها مُنذُ فترة طويلة. أصبح من الصعب بشكل مُتزايد اختراق الإعلام الجماهيري والفضاء العام. ويحاول الصحفيون ومُحررو المُجلات اجتذاب عدد كبير من القُراء في "اقتصاد الاهتمام" خلال فترة من الصحافة الرخيصة العامة والتفكير السطحي. يتم الحصول على الانتباه بشكل أساسي بواسطة المُحرضين الطموحين والمُحامين أو مُتخصصي تكنولوجيا المعلومات الذين يُقدمون "حقائق فورية" يمكن التخلص منها. وبعبارة أُخرى، ليس على الفلاسفة إلا أن يلوموا أنفسهم فقط لعدم توليهم دور المثقفين العمُوميين.

وفي سلوفينيا، أيضاً، نحنُ غير مُتحمسين تماماً لنذر أنفُسِنا للواقع الذي يُحيطُ بِنا ونحنُ نهرب منه. ربما لِمُحبي الحِكمة، وخاصةً بالنسبة للفلاسفة، الواقع الاجتماعي لم يسبق من قبل قط أن شكل مثل هذا العدد الكبير من التحديات المُباشرة كما يفعل اليوم. سواء أكانوا مُستعدين لها ويتصرفون بالطُرُق المُتوقعة منهم وما إذا كانوا تفكروا جيداً بما يكفي عن الحالة والوضع الذي يجدون أنفسهم فيه، فلن يظهر ذلك من خلال الزمن فحسب بل سيظهر من خلال مصيرهم أيضاً في القادم من السنين.

في ذكرى عبدالله خليفة

د. فهد حسين

الحديث عن عبدالله خليفة، يعني أنك تتحدث عن إحدى الأيقونات السردية في البحرين والخليج العربي، يعني أنك تتحدث عن علاقة كاتب بالسرد من جهة، وبالثقافة من جهة ثانية، وبالنقد من جهة ثالثة، وبالصحافة الثقافية من جهة رابعة، الحديث عن عبدالله خليفة يعود بك إلى تمسك الفرد بالمبادئ التي تأسس عليها ثقافيًا وفكريًا وتطلعًا، الحديث عنه يعني الحديث عن بنية المجتمع وتركيبته الاجتماعية والثقافية، لذلك لابد من الابتعاد عن عواطفنا تجاه كل تلك الكتابات والتأمل في ما كتبه بعين ناقدة تحليلية تأويلية حتى يمكننا القول إننا أنصفنا عبدالله خليفة.

وربما يتساءل أحد منا، لم هذا الوقت نقول هذا الكلام، أليس من الأجدر قوله في حياته؟ نعم قلنا هذا بين الكتاب والمبدعين، وإليه وإلى التاريخ، فعبدالله استطاع أن يكوّن له اسمًا أدبيًا في سماء منطقة الخليج العربي بجدارة واقتدار على الرغم من أن هناك بعض الكتاب كانوا ينظرون إلى منجزه الإبداعي، وبخاصة في مراحله الأولى، أي حتى الثمانينيات من القرن الماضي، مثل: الدكتور عبدالله غلوم، وقاسم حداد، وأحمد محمد عطية من طرف، ومثل: الدكتور صبري مسلم، وفيصل عبدالحسين بطرف ثان، وقد سجلت هذه الآراء في بعض الكتب والمصادر والصحف، ولكن مهما قيل عنه من آراء فهذا لا يمنع أن نعيد قراءة منجزه الأدبي والثقافي طالما فعل القراء لا يقف عند تحديد رأي قطعي وثابت، بل كلما توغلت في القراءة لأي نص ستكون القراءة التي تلي السابقة تصل بنتائج تختلف بعض الشيء عما سبقتها، وهكذا.

ليس كل كتابة سردية تتمكن من طرح ما يريده قارئها، فإذا آمنا بتعدد القراء والمتلقين، فهذا يعني تعدد الذائقة بحسب الأفكار والتوجهات والاتجاهات، لذلك حينما لا يجد القارئ ما لا يبحث عنه في النص، فلا يعني البتة أن هذا النص أو ذاك خرج عن دائرة مألوف العملية الكتابية، وإنما خرج عما كان يتوقعه هذا القارئ فحسب، لهذا لا ينبغي إصدار أحكام على النص، وإن كان يخالف توجهاتنا أو رغباتنا أو قناعاتنا أو طموحاتنا، إذ ربما وافق ذلك طرف آخر من القراء، وعلينا أن نعي أن العمل السردي نسيج حكائي ليس له شكل واحد مقولب وثابت، ومتفق عليه سلفًا، كما أنه لا شك أن أي نص ينتج تكون اللغة عموده الفقري، ولكن هناك فرق بين وظيفة كل من النص والخطاب، حيث الأول له وظيفة نصية، تعتمد على الخَطية والانسجام، أما الخطاب فله وظيفة تواصلية، وعناصرها، تلك علاقة الراوي بمؤلف النص، وكذلك علاقته بالشخصيات النصية أو الورقية، بالإضافة إلى علاقة الراوي بالقارئ.

بدأ الكاتب عبدالله خليفة الكتابة السردية متخذًا المجتمع، وبعض أحواله، موضوعاته التي برزت بشكل واضح في جل أعماله القصصية والروائية، ولا شك أنه وغيره من كتاب البحرين الذين بدأوا في خمسينيات وستينيات القرن الماضي والعقود التي تلت، تأثروا بالكتابات العربية في مصر والشام وبلاد الرافدين، بل هناك من غابت عنه ما يميز الرواية، وما يميز القصة، لذلك تجد بعض الكتابات تراوح بين هذا وذاك. ولكن عبدالله خليفة لم يتأثر النص السردي العربي فحسب، بل كان التأثر في أعماله واضحًا بالأدب الروسي، والأدب اللاتيني، وبخاصة تلك الكتابات التي تتناول المهمشين، وبيان مآسيهم وظروفهم المعيشة اجتماعيًا واقتصاديًا، في سياق الأعمال التي كانت تمتهن في البحرين آنذاك، مثل: مهنة الصيد البحري، أو مهنة استخراج اللؤلؤ، أو أعمال الحفر والبناء وما يماثلها، ثم الدفاع عن هذه الفئة.

بمعنى آخر فإن عبدالله خليفة معروف عند النقاد والعديد من القراء والمثقفين أنه كاتب ينهل من الواقع المعيش قضاياه وموضوعاته متكئًا على البعدين الإيديولوجي السياسي، والصراع الطبقي، ذلك الواقع الذي يكشف زيف المجتمع اجتماعيًا واقتصاديًا، ويبين كيفية تلك التحولات التي تطرأ على المجتمع نتيجة عوامل وأسباب عديدة، لذلك كانت الثيمة الرئيسة في مجمل أعمال عبدالله خليفة الصراع الذي يرسم له خطوطه الاجتماعية والسياسية والتاريخية والاقتصادية، صراع عادة يضعه مادة رئيسة في العمل الإبداعي بين مكونات الحياة والمجتمع والطبيعة وحتى القضايا، صراع بين الخير والشر، بين الحب والكره، بين الأغنياء والفقراء، بين القديم والحديث، بين مجمل التحولات المجتمعية، بين الانعزال والاختلاط، بين الاساطير والخرافات والخزعبلات وبين التقدم العلمي والنظرة العلمية للأشياء، بين الانتماء واللا انتماء، فهو صراع طبقي وإن تعددت أشكاله وتنوعت طرائق حضوره في النص السردي لديه قصة أم رواية.

ومن جانب آخر فإن منجز عبدالله خليفة الذي تشعب كثيرًا بين النتاج الغزير في القصة والرواية، كما كان له مشوار في الصحافة والكتابة ذات المنحى الفكري والفلسفي، وإن كنا نعتقد أن هذه الغزارة قد تسهم في عمق ما يطرحه من أعمال قصصية أو روائية، إلا أنه تشوبها بعض الهنات التي تخرج على السردية عامة وأحيانًا في سياق الانطباع، وبالأخص في تلك الكتابات النقدية التي سطرها من خلال الندوات والملتقيات أو المؤتمرات، أم نشرها في كتب نقدية، مثل الراوي في عالم محمد عبدالملك القصصي، أو نجيب محفوظ من الرواية التاريخية إلى الرواية الفلسفية، الأمر الذي جعل عدد من النقاد والكتاب يرون ما أنتجه عبدالله خليفة بحاجة إلى وقفات تأملية ونقدية.

وقد وصف نتاجه من قبل إبراهيم غلوم، وأحمد محمد عطية، حيث يشير غلوم بالقول: "وجدت القصة القصيرة عند محمد عبدالملك امتدادها الإيديولوجي في قصص عبدالله خليفة، ولكنها لم تجد فيها أبسط أشكال الامتداد لطبيعة التجربة الفنية، وما استهدته من تقليد ذات أصول كلاسيكية أو حديثة، إذ شغلته قضية الانتماء إلى القوى التقدمية في المجتمع أكثر مما شغلته قضايا الفن والأدب ". كما قال عطية إن الكم الغزيز من النتاج الأدبي أثرّ على الكيف والنوع والمستوى"، والاثنان يتفقان مع عمر محمد الطالب في قوله: طغيان الأسلوب التعليمي، وبالذات التعليمية السياسية التي ولع بها الكاتب ولعًا شديدًا، وانتشرت عباراتها في جميع قصصه دون استثناء، وهو ما أكده قاسم حداد أيضًا في مقالة نشرها بمجلة الأقلام العراقية عام 1975، ونقلها عطية في كتابه.

وعلى الرغم من كل هذه الآراء والاستنتاجات التي استندت بعضها إلى معيار نقدي، وربما الآخر استند إلى بعد إيديولوجي كما كان عبدالله نفسه يتكئ عليه، فإن نتاجه السردي شكّل محطة مهمة في المنجز البحريني حديثًا، حيث هناك من يثمن جهده البحثي والكتابي والإبداعي قصة أو رواية، مثل: صبري مسلم، فيصل عبدالحسين، ونحن لا نغالي إذا قلنا إن عبدالله خليفة استطاع على مدار سنوات عطائه أن يعرف المجتمع المحلي والإقليمي بالقصة القصيرة والرواية في البحرين، وموضوعاتها المختلفة، إبداعًا ونقدًا، وعلى مدار هذا النتاج السردي فإنه لم يخرج اهتمامه عن مناقشة قضايا الهمشين والمظلومين والمسحوقين في المجتمع عامة وبالطبقة العاملة الكادحة (البروليتارية)، إذ أشارت قصة (الأم والموت) إلى الابن الذي أنجبته هذه المرأة المسحوقة تعبًا وانهيارًا وبحثًا عن لقمة العيش والراحة التي لا تأتها، "ذلك الحي الكبير، مترامي العشش والأكواخ، هو من بطن هذه الأم، هذه السوداء المعروفة، التي تمتد يدها لزرع الحناء في الأكف، والحب في القلوب والبطون، هذه الشامخة التي تحاذي رؤوس الشجر، وميادين الحمام والغمام، البائعة المتجولة، مغنية الأعراس، الطبالة الصادحة بهز الصمت والأحزان «.

كما ناقش بعض الأعمال والمهن التي يرى بعض العائلات عدم جدواها وأهميتها، مثل مهنة الصحافة، أو الكتابة بشكل عام، وفي الوقت نفسه فإنه لا يتوانى في نقد أي موقف أو ظاهرة أو فعل لا يتوافق وتوجهاته الفكرية والأيديولوجية، وها هي قصة (الطائر الأصفر) الذاهبة إلى الرمزية، "قالت له الببغاء غاضبة: اسمعُ بعض الأصوات المزعجة في البيت، من الذي يصدرها؟ لا شيء يا سيدتي، ولكنها مجرد تأوهات لطيور عابرين... يجب أن تمنع مثل هذه الكائنات المقرفة من دخول الحديقة، لم أوظفك من أجل أن تنام في غرفتك، أمسك عصا وراح يضرب الأوراق ويصيح: أخرجي من الحديقة أيتها الغربان". ولك أن تؤول هذه المفردات (الببغاء – الطيور – حامل العصا – الغربان).

هكذا برز الرمز في النصوص القصصية مع محاولات كثيرة لتجريب لعبة الزمن والتداخل في سياق عملية الكتابة التي تكشف عن مواجهة الواقع المعيش بطرائق مختلفة، أي بين العلاقة الحميمة التي تنقد الواقع بهدف الإصلاح وبيان الخلل، وبين العلاقة الصريحة التي لا تحتاج إلى صياغات رمزية، وهذا أيضًا يكشف حب الكاتب لوطنه ورغبته في تعديل وإصلاح الممكن، بعد الاعتماد في بداية الكتابة القصصية على الأسلوب التقريري بحكم التجربة والمران والخبرة، ولكن في الوقت نفسه الذي نرى تطورًا في الكتابة القصصية البحرينية، ولكن هذا لا يمنع وجود كتابات

للكاتب فيها من البساطة والسهولة والسطحية والتقريرية، وهذا ما يجعلنا نقف عند أسئلة التي تدور حول مدى الفصل بين الذاتي والموضوعي أثناء الكتابة، أي بين ما يحمله الكاتب من مواقف وفكر وهموم وانفعالات وحالات خاصة مرتبطة بالذات الكاتبة، وبين تلك الموضوعات التي ترتبط بكتابة الكاتب المعنية بهموم المجتمع وتطلعات أفراده، وهذا يأخذنا إلى المفارقة في الكتابة بين ما هو تطلع فردي، وما هو تطلع جماعي.

ويشير عبدالله خليفة أن أعماله الروائية التي صدرت في الثمانينيات لم تكن هي البدايات الأولى لكتابة الرواية، وإنما كتب منذ النصف الثاني من السبعينيات، وتحديدًا حينما كان في السجن، إذ نشر على صفحات أخبار الخليج حول تجربته في الكتابة ما يؤكد ذلك، ومن تلك الأعمال الروائية التي كتبها هناك، رواية (الدرويش والذئاب)، ورواية (لا مكان للصعلوك بين الملوك)، ولكن ما يهمنا هو المنشور في كتاب، لهذا فرواية (اللآلئ) هي التجربة الأولي للكاتب، التي تناولت حياة البحر والغوص واستخراج اللؤلؤ.

واستمر خليفة في الإصدارات القصصية التي وصلت حتى عام 2017، عشر مجموعات، أما الروائية فقد وصلت إلى عام 2018 ثلاث وثلاثين رواية، مثل: رواية (ابن السيد) التي تتحدث عن شخصية جاءت من الغربة إلى الوطن، ولكنها فقدت أوراقها الثبوتية، مما بات عليها أن تبحث عن طرق توصله إلى تأكيد هويته وحياته وكيانه، بل وميراثه من أبيه، وهكذا تأتي الأحداث التي تشير إلى طبيعة المبادئ عند الإنسان، وتتحدث رواية (رسائل عبدالناصر) عن الشخصية التي ألهمت الجماهير بتلك الكاريزما التي تميزت بها، وتلك الأحلام والطموحات عبر الرسائل التي تحملها الشخصية نفسها، أما رواية (ألماس والأبنوس)، فهي تعود بنا إلى الحديث عن البحر من خلال شخصية جوهر القاهر لكل صعاب البحر والغوص والأسماك الفاتكة، غير أن عبدالله خليفة لم يخرج عن موضوعات الصراع بين الهامش والمركز، بين المتناقضات في المجتمع اجتماعيًا واقتصاديًا، مهما رسم الشخصيات إن كانت من قاع المجتمع، أم من الفئات المثقفة أو المتعلمة.

كتب عبدالله خليفة في هذه الفترة عددًا من الأعمال، بعد رواية (الأقلف) التي تطرح سؤال الحرية الدينية واختياره من قبل الأفراد، مناقشة الحملات التبشيرية في البحرين، وأثرها على بعض الشباب والمجتمع، أصدر روايتي (ساعة ظهور الأرواح – التماثيل)، ولم ينته العقد الزمني إلا بعدد من روايات دخلت في تراث التاريخ الإسلامي، إذ بدأ برواية (رأس الحسين) ثم توالت الأعمال ذات الطابع نفسه، وهي: (عمر بن الخطاب شهيدًا – عثمان بن عفان شهيدًا – علي بن أبي طالب شهيدًا).

إنها أعمال جاءت في اعتقادنا بعد انغماس الكاتب قراءة واطلاعًا للتراث الإسلامي والعربي بشكل عام، وما يخص الفكر والفلسفة بشكل خاص، إذ تبرعمت عنده مجموعة من الأفكار سرعان ما تحولت إلى مشروعات كتابية أدبية، حيث أصدر على أثرها بعد كتابه المعني بالاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية الإسلامية، هذا الكتاب الذي هو في الأصل بحاجة إلى وقفة تأمل وقراءة نقدية في سياق الكتابة البحثية والأكاديمية، وبخاصة أنه يمثل بعدًا ثقافيًا وفكريًا وفلسفيًا، مثل: التوقف عند المصادر والمراجع وموقع بعض الفلاسفة المحدثين في عصرنا العربي الذين بحثوا في التراث الإسلامي، كمحمد عابد الجابري، وجورج طرابيشي ونصر حامد بو زيد وحسن حنفي وغيرهم، وعدم وضوح المنهج الذي اعتمده الكاتب، فضلاً عن ثبت المصادر والمراجع التي لم تكن موجودة في الكتاب، والاكتفاء بثبت الهوامش، وهذا لا يكفي في الدراسات البحثية، وغيرها من الأمور التي لابد من تواجدها في أي بحث، ولكن ليس مجال مناقشة الكتاب هنا.

نقول من هذه القراءة في الفكر الإسلامي العربي، ودراسة العديد من الشخصيات الإسلامية، بدأت إصداراته الروائية الواحدة بعد الأخرى، بدءًا من رواية رأس الحسين ثم توالت الإصدارات التي عنونها عناوين عادية لا ترتبط بالبعد الأدبي أو الفني أو الجمالي، فهي عناوين لأسماء الشخصيات التي تحدث عنها في هذه الروايات، حتى رواية محمد ثائرًا وعنترة بن شداد، ووصل في العصر الحديث برواية عن جمال عبدالناصر، وفي مجمل هذه الأعمال فهي ترسل رسالة واضحة إلى القارئ، ليس بيانًا لاهتمام الكاتب بالتراث الإسلامي، والاشتغال على الرواية التاريخية الإسلامية، بقدر ما كان توجهًا إيديولوجيًا واضح المعالم عند الكاتب يرغب في بثه وبيانه في هذه الأعمال، حيث توظيف هذا التوجه الإيديولوجي من خلال هذا التراث، ودور الشخصيات التاريخية الإسلامية، مع توظيف المتخيل في الصراع الطبقي والثنائيات ذات العلاقة المرتبطة بمفاصل الحياة.

ونعتقد أن الروائي رأى في هذا التراث مادة دسمة، وأحداث خصبة لترجمة هذا التوجه الفكري، من هنا جاءت هذه الأعمال على التوالي التي تدور جل أحداثها، وبعيدًا عن الشخصيات والمراحل الزمنية التي هي في الأصل تكاد تكون مرحلة واحدة، فالشخصيات التاريخية التي اختارها لا شك أن لها دورًا بارزًا وفاعلاً في حركة التاريخ والمجتمع وحياة الأمة الإسلامية، لذا فهي شخصيات حقيقية واقعية لم يرسمها الكاتب ويخطط ملامحها وتصرفاتها وتكوينها وسير أحداثها روائيًا؛ لأن هذه الشخصيات هي في الأصل شخصيات مرجعية دينيًا وسياسيًا وإنسانيًا للمسلم وغير المسلم، سواء في السلوك أم في التفكير أم في القيادة والحياة العامة والخاصة، وبعيدًا حول الاتفاق أو التباين في زاوية التبئير لهذه الشخصية أو تلك، فإن كل الشخصيات التي جاءت عناوين روايات الكاتب التاريخية شخصيات مرجعية، لهذا لا يستطيع كل من الكاتب والقارئ إلا النظر إليها كما هي في التاريخ بصفاتها وتكوينها وثقافتها وتعاملها، فهي شخصيات حقيقية وليس ورقية أو متخيلة، كما أن الكاتب هنا لا يعطي فرصة للقارئ وقبل ذلك هو نفسه الذهاب بعيدًا بهذه الشخصيات ويدخل معها في تخيلات وتأويلات.

إن استحضار هذه الشخصيات التاريخية في العمل الروائي هو تأكيد على ما يؤمن به الكاتب من فكر إيديولوجي معتقدًا أن هذه الشخصيات تمثلت هذا الفكر وترجمته واقعًا آنذاك دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، والسؤال: من الذي يوجه التبئير السردي، إذا كان شخصيات الأعمال الروائية هي شخصيات حقيقية وتاريخها معروف ولا أحد يستطيع التغير أو التغيير فيه؟ بمعنى أن الروائي هو من يحرك الحدث وزاوية النظر؛ لأنه هو من كان يتكئ على التاريخ عامة، وتاريخ هذه الشخصيات بخاصة، وفي مقابل هذه الشخصيات، استحضر بعض الشخصيات الأخرى المساعدة لأحداث الروايات، وتعزز الفكر الإيديولوجي، وما يتبرعم منها المتمثل في الثنائيات المنطلقة من الرغبات والشهوات ولتطلعات الفردية والذاتية التي تتعارض وتكوين الشخصيات الرئيسة، لذلك جاءت التقريرية في الكثير من الأحداث والوقائع، كما في العلاقة بين عمر بين الخطاب رضي الله عنه، وخالد بن الوليد، أو العلاقة بين الإمام علي عليه السلام وأخيه، وهنا التباين بين هذه الأعمال وتوظيف المتخيل والحقيقة من جهة، وبين رواية عزازيل ليوسف زيدان، وتوظيفه لما هو حقائق تاريخية كما في عالم الرياضيات والفلسفة هيباتيا، وتوظيف المتخيل الذي جعل القارئ حائرًا بين التاريخ والواقع والحقائق والتشريعات والمتخيل، كما أننا علينا أن نتساءل من جهة أخرى في الفرق بين ما كتب عباس العقاد من كتب في السيرة والشخصيات الإسلامية، وبيان دورها المجتمعي والديني والسياسي، وبوصفها سيرًا، وبين ما كتبه عبدالله خليفة عن هذه الشخصيات التي ذكرت آنفًا بوصفها روايات، وهنا نترك الحكم للقارئ.

وفي الختام أقترح أن تشكيل لجنة متخصصة لمراجعة ما نشر مؤخرًا، وما سينشر، وأن يقام ملتقى أدبي وثقافي تتبناه أسرة الأدباء والكتاب وجهات أخرى على مدار ثلاثة أيام لمناقشة منجزه الأدبي إبداعًا ونقدًا، وأن يعلن عن جائزة تحمل اسم البحرين تضم دورات سنوية، بحيث تسمى إحدى الدورات باسم عبدالله خليفة.

هم مختلفون ويعانون.. وأنت؟

في عرض افتتاحي لمناسبة مسرحية ما، اختارت اللجنة المنظمة أن تجعل الاستعراض لذوي الهمم من أصحاب الكراسي المدولبة. كانت المرة الأولى التي أشاهد فيها عرضاً حياً من هذا النوع، أشعرني بالخفة مباشرة على غرار عروض الباليه، الحفلات الاستعراضية، أو حتى مباريات كرة القدم، التي يشعر فيها المتلقي بالحماس المصاحب للرشاقة والإتقان.

زهراء المنصور

ولابد أن الكراسي المتحركة، التي كانت تتطاير في فضاء المسرح، لتدهش جل المتفرجين، وأشعرتهم أيضاً بمدى عجزهم إزاء الطاقات المتوهجة على الخشبة. قادني هذا العرض لمشاهدة المزيد من العروض المسرحية والفنية التي كانت تركز جلها على تحدي الإعاقة، وتقديم عرض يتحدى القدرات العادية عند الأسوياء جسدياً، هذا التحدي يقود إلى التصالح مع الجسد، والرضا بكل ما فيه، بل وتحويل العائق إلى موهبة تذهل الآخرين.

ولا يقتصر التصالح مع الجسد على التغلب على إعاقة جسدية ظاهرة، كما في العرض المذكور، فلم يختر أحد هؤلاء أن يستبدل قدميه الحرتين بضيق كرسي محشور فيه كل الوقت، في ظل الحاجة للحركة المستمرة. وعلى صعيد آخر، أذهلتني فكرة أن تقوم ممثلة بحرينية شابة منذ سنوات بدور وسط مجاميع وحركة في عرض "تعالوا ننتظر"، من تأليف خليفة العريفي، وإخراج طاهر محسن في 2013. لم أدرك أن زهراء السباع كفيفة، تحسب خطواتها مع زملائها على الخشبة، وتتحرك بدقة وبصيرة قد تتفوق بها على الزملاء في نفس العرض، إلا بإشارة زميل جعلني أكثف مراقبة الأداء، وأعجب بهذا الإصرار على الظهور مع الباقين، دون أدنى إحساس بالعجز.

وينطبق هذا على الأمثلة التي تردنا بشكل مستمر في وسائل الإعلام، عن برامج المواهب التي تستضيف هذه الحالات الإستثنائية والمبهرة، التي تفتح باب التحدي لمن هم مادياً في خانة الأسوياء، ولكن العجز لا يحفزهم إلا لأداء الأساسيات في الحياة، أما الحالات الأخرى فسِرّها الكبير: التصالح مع الجسد، وتقبله، والتغلب على الإعاقة بكل الوسائل المتاحة، حتى يُصدّره للآخرين، فيتقبلوه بنفس الدرجة تماماً!

في الحقيقة، إن طبيعة تصالحنا مع أنفسنا وأجسادنا تبدأ في وقت مبكر جداً من أعمارنا. ففي وقت الطفولة والتكوين، سيجلب لنا أهالينا ألعاباً، ودمى غالبها من تلك البلاستيكية الشقراء ذات العيون الملونة والقوام المتناسق، وهو نفس النسق الذي تقدمه أفلام الكارتون –المدبلجة غالباً– والتي تصوّر لنا أبطالها بنفس ثيم الدمى البلاستيكية الشقراء/ العيون التي لا تشبه أغلبنا، والقوام المتناسق بالكامل، وغيرها من الصفات الشكلية المتزامنة مع الأفعال النبيلة والسامية للأبطال.

في الجانب الآخر، تظهر المسلسلات الكارتونية صفات الغباء/ الشر/ السذاجة/ في أشكال جسدية أخرى سمين/ غير أنيق/ قذر/ هذا يؤدي إلى زرع صورة ذهنية صعبة الانتزاع، ليس فقط لتوقيت حصولها، بل لأنها تكرّس لاحقاً مع الوقت في كل الوسائل وعبر تكثيف التعرض للدراما، هذا التعرض سيصنع جزءاً من المخيلة نحو المثالي/ المفضل/ المتعارف عليه، بدون وعي وخيار حقيقي منا، لأن كل ما يخالف هذه الصورة، أو يختلف عنها، هو خارج المألوف، لذلك فإن تقبّله أو التعامل معه سيحمل نوعاً من المجازفة، وعليه ستكون صفات السمنة أو اللون الأسود / الصلع/ الأسنان غير المتساوية/ طول القامة أو قصرها، أو طريقة نطق بعض الحروف وغيرها، من الصفات البشرية التي تصنع إنسانيتنا واختلافنا الطبيعي جداً، هي محل تردد في قبول الآخر، الذي ينظر إلينا أيضاً ومعه قائمة مواصفات "محفوظة" يقارننا بها!

وأذكر جيداً أن أحداً لم يعترض على إعلان صابون شهير قبل سنوات، استحضر فيه طفل ذو وزن زائد وهو يسرد لزملائه في المدرسة كيف أن أمه تدعوه لغسل يديه مراراً وتكراراً حتى تضمن أن يده خالية من الجراثيم،

بينما ردّ زميله ذو المواصفات المثالية، والتي قد تكون النظارة أحد علامات الذكاء والنباهة، في أن الصابون المعلن عنه يفي بالغرض، ومن أول غسلة، مما يثير ضحك الآخرين على ما صوّر أنه "بلاهة" من الطفل الأول، وبالتالي يكرّس للصورة السلبية التي تنمو في الصغار، وتعود على وجودها الكبار: السمنة مرادفة للغباء، والسذاجة، والبلادة، دون أن نحدد من وضع مواصفات الـــstandard أي المعيار في أذواقنا وقبولنا من الصغر! وهل لو بدلنا دور الطفلين بنفس الإعلان سيكون مستغرباً، أو محل استنكار، لأنه قلب موازين المتعارف عليه؟؟

من المهم الإشـــارة أيضاً إلى أن المجتمع، قبل أن يقبل بصورة "غير المعياري"، عليه أن يقبل هو نفسه ويقدّر نفسه كثيراً حتى يتقبله الآخر بنفس البساطة، ومن منطلق "ألا تخجل من شيء لست مسؤولاً عنه". حالة الجد البرازيلي "جواو ستانغانيلي جونيور" الذي تناقلت وسائل الإعلام مؤخراً خبر حياكته لدمى كروشيه، حاكها بألوان بشرة مموهة؛ في الوجه، والعنق، واليدين، حتى لا يشعر الأطفال المصابون بالبهاق بأدنى خجل من شكلهم المختلف. وانطلقت الفكرة من الجد الذي أصيب بنفس المرض الجلدي في سن صغيرة، وقد أراد بصناعة الدمية الأولى من هذا الشكل أن يقدم لحفيدته دمية تشبهه. ولنا أن نتصور كيف ستبدو الخيارات متعددة ومختلفة عن بعضها في محل ألعاب، يختار الطفل ما يشاء من أشكال سيألفها، لو عممت ثقافة الاختلاف كما في مشروع الجد البرازيلي، وأيضاً نضمن أننا نرتفع بالوعي إلى أن من يخالف أشكالنا ليس بالضرورة أسوأ أو أقل منا في شيء، ندرك أن البهاق غير معدٍ، وأنه مجرد توقف عمل الخلايا الصبغية المنتجة للميلانين، لذلك سيبدو بشكل أوضح في أصحاب البشرة الداكنة، ولن يصاب من يخالطهم بأذى، ولن تنتقل البقع الناتجة عن تاريخ عائلي ربما إلى جلد آخر لمجرد المصافحة. لن يفعل هذا أيضاً "الكليويد" أو "الجدرة"، وهي

الندبات الجلدية المتضخمة التي تقارب شكل الجلد المتعرض لحروق نتيجة إنتاج كولاجين غير منتظم في الجلد، أو الثعلبة التي يفقد فيها المصاب شعر رأسه، أو شعر أماكن أخرى من جسده. كلها إصابات مرئية تربك التواصل المادي بين المصاب به وبين من يتعامل معه، وتجعل المصاب يعاني من الأسئلة ونظرات الريبة والحرص من قبل الآخرين، أكثر مما يعاني من إصابته! أما في النظرة المستغربة للأقزام، أو طوال القامة، والقفز على شعور الدهشة والاستغراب الأوليين، إلى التنمر عليهم؛ بتعامل، أو سخرية فجة، كما في النماذج الكثيرة على "اليوتيوب"(1) والحديث عن تجاربهم الحياتية التي يعانون فيها الأمرّين: صعوبة العيش بشكل طبيعي كبقية البشر، خاصة في ظروف مادية صعبة، ومواجهة الآخرين بكل أمراضهم النفسية المتخفية، وكأنهم يضمنون تقلبات الدهر!

إزاء كل الظروف التي قد تقلب حياة إنسان من النقيض إلى النقيض–ربما– قد تبدو تجربة الاستعراض بالكراسي المتحركة مرحلة متقدمة جداً من التصالح مع الذات، والجسد، والقبول بقدر العيش في الحياة بهذا الشكل، وأيضاً من العلاج النفسي الذي يهيئ لهؤلاء قبول ذواتهم، وتصدير هذا القبول للآخر بشكل مثير للإعجاب، يحفزهم أيضاً، في المجتمعات التي تتقبل الموسيقى والرقص بشكل فني راق، وليس إحالة متجنية للإخلال بالقيم المجتمعية أو الآداب العامة، بل من باب التدريب على تنمية المهارات الحركية، وزيادة الثقة بالنفس، بالإضافة إلى الاستمتاع بالإيقاع الموسيقي الذي يدرب الأذن على الإنصات لكل موسيقى صادرة من الطبيعة، وتنظم الحياة، وليس بالضرورة أن يكون مصدرها آلة بشرية مصنوعة. كما أن هذا ليس وعداً بأن تكون يوتوبيا مأمولة؛ يتعامل فيها الكل بمثالية، ووعي، وتعايش مع المختلف، بلا تفضل، أو إحساس بالأفضلية أو الدونية للآخر.. لكن، ماذا لو تحققت فعلاً؟!

---

(1)
https://youtu.be/F–i1XtpO7M
https://youtu.be/fGWNIbVCHas
https://youtu.be/2Uy7iab–M4w
https://youtu.be/y7LLynt2vMU
https://youtu.be/PkL78uA6ejI
https://youtu.be/zGncvJ5xkfs

بوكستاغرامرز: العصر الذهبي للكتاب

هل بقي هناك من يكتب قراءات مفصّلة عن الكتب أم أن الأمر أصبح في خبر كان؟ فأغلب الإصدارات الجديدة لم تعد تحظ بالإهتمام الكافي إعلاميا، و لأني كائن متفائل فلا أريد أن أسأل هل مهنة الصحافة انتهت فعلا؟ أم أنّ الصحفي الذي يهتم بالمادة الثقافية لم يعد يهمه الأمر لأسباب مادية محضة؟

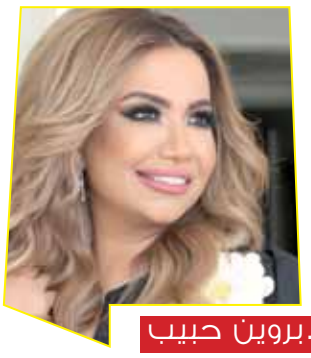

د.بروين حبيب

لكن مهلا، قبل الذهاب بعيدا بهاتين الفرضيتين، دعونا نلقي نظرة على تطبيق انستغرام، و الذي اعتبرته منبرا إعلاميا حساسا و قويا أكثر من غيري، بل إني منحته من الأهمية ما دفعني لإصدار كتابي " انستغرامياتي" شاملا لصور رحلاتي و أسفاري، وقراءاتي وأهم نشاطاتي التي أغلبها ثقافي إلا فيما ندر منها...

ملايين الفئات الشابة تقبل على القراءة من خلال متابعتها لصفحات استغرام، دون قراءة مراجعات لتلك الكتب، ولا آراء نقدية، فقط أغلفة الكتب الجذابة مصحوبة بجملة واحدة مؤثرة، تجذب الآلاف، شيء كالسحر، لكن هذا ما يحدث فعلا.

نحن هنا نتحدث عن نوع جديد من الإعلاميين الذين يتخذون من موقع "إنستغرام" الشهير منبرًا لهم لإطلاق مواهبهم، للترويج لأي شيء، وهم بذلك يخاطبون أكثر من مليار مستخدم في العالم أجمع.

في المنطقة العربية يتفاوت الإقبال على انستغرام، لكني أعتقد أنه المنصة الأولى لجذب الفئات الشابة، وهو على هذا الأساس أكثر عالم تلتقي فيه الأجيال الجديدة، وهو مختلف تماما عن باقي مواقع التواصل الإجتماعي.

و لنركز على هذه الفئة التي تطلق على نفسها لقب "بوكستاغرامز" وهي تتابع بطريقة غير مسبوقة كل ما ينشر في العالم من كتب، سواء باللغة الإنجليزية أو العربية أو المترجم للعربية.

يختار المسؤول على صفحة استغرامية مخصصة للكتب الصورة المناسبة لجذب القارئ، فقد لا يكتفي بغلاف الكتاب بل بإضافات لطيفة، مثل فنجان قهوة، أو وردة، أو صبية جميلة غارقة في القراءة أو هر نائم قرب الكتاب...كل إضافة لها لمسة على ذهن القارئ وهي حتما تجره لإكتشاف خبايا الكتاب، و هنا يخترع صاحب الصفحة "جملته الطعم" تلك التي لا يمكن المرور بمحاذاتها دون التوقف عندها لأنها تعكس شيئًا ما مشتركًا بين أغلب البشر، شيئ يلامس وجعًا ما، وهذه هي النقطة الأهم، حين يكتشف هذا الإعلامي الجديد جملة واحدة تغنيه تماما عن كتابة مقال طويل مختصرًا فيه محتوى الكتاب مع كثير من الشرح لإبراز أهميته.

المتابعون للكتب على استغرام يقولون إنه "العصر الذهبي" للكتاب، فكل هذه الأجيال الشابة المقبلة على القراءة ستزداد نضجا بعد سنوات، وسيكون إقبالها على ذخائر الكتب بشكل أكبر.

وتقول بعض الدراسات إن سوق الكتاب له مستقبلًا ممتازًا لسببين إثنين أولهما استغرام، وثانيهما نوادي القراءة التي بدأت تنتشر بشكل مذهل حتى في أكثر المناطق عزلة، والغريب أن النساء أكثر تحمسا لهذه النوادي لأسباب مرتبطة بارتفاع الوعي النسائي وهذا موضوع آخر قد أكتب فيه من وجهة نظري في الأيام القادمة.

الممثلة البريطانية الشابة إيما واتسون أطلقت نادي القراءة خاصّتها منذ سنوات قليلة، وأعلنت عنه عبر صفحتها تويتر، وقد ابتكرت أفكارًا لا تخطر على بال الكهول للترويج للكتاب، ففي بداية صيف 2017 أخفت نسخا من رواية "قصّة خادمة" للكاتبة الكندية مارغريت آتوود في أماكن كثيرة في العاصمة الفرنسية باريس ودعت محبيها للبحث عنها، ومع أن الرواية نشرت عام 1985 إلاّ أن هذه الحركة الملفتة للنظر من طرف النجمة الشابة أعادها للواجهة بشكل جنوني.

سنة 2018 صدر فيلم "بوكليب" للمخرج الأميريكي بيل هولدرمان يحكي بطريقة كوميدية قصة مجموعة من النّساء ينشئن نادي قراءة ويجتمعن كل شهر لمناقشة كتاب، وقد كان الكتاب المختار في الفيلم للكاتبة البريطانية إي. أل. جيمس "خمسون درجة من غراي" وهي رواية رومانسية مثيرة مدججة بالمقاطع الإغرائية الحارّة، وخلال الفيلم نوقشت الرواية بمستويات تتفاوت بين الإعجاب والإنتقاد اللاذع، وهذا في حدّ ذاته كان إضافة مهمة للرواية التي حققت مبيعات خرافية في بريطانيا والولايات المتحدة قبل أن يرد ذكرها في الفيلم.

الخلاصة التي أود أن أصل إليها هي أن كل وسائل التواصل الإجتماعي، والتقنيات الرقمية التي اكتسحت يومياتنا اليوم، ليست منافسًا شرسًا للكتاب بقدر ما هي عوامل مساعدة وجد مهمة لرفع مستوى القراءة وخدمة الكتاب...

وإن كانت نوادي الكتاب أو صالونات القراءة منتشرة منذ الأزل في العالم أجمع، فإنّها اليوم تأخذ شكلا حداثيا لم نشهد له مثيلا سابقًا. فقد أصبح من الممكن أن يقول القارئ رأيه عبر "يوتوب"، أو عبر صفحته "فيسبوك"، أو عبر مواقع مختصة فقط بالكتب مثل "غودريدز" التي بلغ عدد أعضائه الأربعين مليونًا، كما ورد في عدة مقالات أن عدد الكتب المسلجة فيه فاقت المليار كتاب.

أما أهم ميزة لهذا الموقع الجميل فهو المراجعات التي يتركها أصحابها بشأن الكتب التي قرأوها، دون أي ابتزاز عاطفي أو تأثير من الكاتب نفسه أو الناشر أو غيره، إذ نعرف جيدا أن أسوأ أنواع مراجعات الكتب هي تلك التي تقوم على المجاملات الشخصية وقد حفلت بها الصحافة المكتوبة منذ ظهورها إلى يومنا هذا، لكنّها خفت كثيرا أمام الثورة التي أحدثتها الوسائل الرقمية مانحة حرية تعبير مشهودًا لها لكل الفئات القارئة.

هذا زمن لم نحلم به أبدًا، لكننا نعيشه بقدرة القادر، زمن "البلوغرز" و"اليوتوبرز" و"البوكستاغرامز" كما نعيش ظاهرة النصوص القصيرة، والقصص التي تُروى في مائتي وخمسين كلمة، والتي رغم استهجان البعض لها إلا أنّها نوع من التحدّي لإنتاج أكثر بلاغة وأقلّ إسفافا.

هذا الزمن الرّقمي عجيب، ورغم رفضنا له نحن الجيل الورقي إلا أن بوادر التغيرات الإيجابية تشرق من أجهزته التي تسهّل من نمط حياتنا. يمكن حمل مكتبة بأكملها عبر "كيندل" أو عبر تطبيق ننزله على هواتفنا النقالة، يمكننا إقتناء كتب مسموعة نصغي لمحتواها بأصوات جميلة فيما نستمتع برحلتنا من بلد لبلد، أو ونحن نسوق سياراتنا لمسافات. لقد ابتكرت التكنولوجيا ما يكسر ضغوط الحياة اليومية بهذه الفواصل اللطيفة.

يبقى أن نشير أننا قد نتأخر قليلا لاستيعاب أهمية العالم الرّقمي والإستثمار فيه ثقافيًا، إذ يبدو جليا أننا لا نزال نتخبط في الدوامة نفسها، دوّامة الجسد، والإكسسوارات، ومواد التجميل، والتنحيف، والمياعة التي لا معنى لها والتي تجذب فئات شاسعة من ضحايا الإهمال التربوي، لكن بصيصًا من الأمل يبزغ علينا بمجرد كتابة هاشتاق #كتب لنكتشف أن فيروس القراءة حملته إلينا التأثيرات المباركة للثورة الرقمية، آلاف المتابعين لصفحات عرف مبتكروها كيف يجعلون الكتاب قبلة لهواته، وبعضهم يجتهد يوميا دون مقابل فقط لمتعة وشغف شخصيين.

وقد نجحت في بعض بلدان الخليج هذه النوادي "الإنستغرامية" حتى أنّها تجاوزت الفضاء الإفتراضي، وأصبحت أنديةً معترفا بها، يلتقي أصحابها شهريا، والأجمل أنهم ينظمون رحلات ثقافية لزيارة مكتبات عالمية واكتشاف كنوز خارج حدود بلدانهم.

كيف لنا أن ننسى ؟

حميد الملا

(الحياة أعز شئ للإنسان. انها توهب له مرةً واحدة فيجب أن يعيشها عيشاً لايشعر معه بندم معذب على السنين التى عاشها ولا يلسعه العار على ماضٍ وذلٍ تافه وليستطيع أن يقول وهو يحتضر كانت كل حياتي، كل قواي موهوبة لأروع شئ في العالم، النضال في سبيل تحرير الانسانية)، هكذا يقول نيقولاي اوستروفسكى الكاتب الروسي الذي ألفّ رواية "والفولاذ سقيناه" .

فهل يا ترى خطى حسن مدن في كتابه (ترميم الذاكرة) هذه الخطوة باتجاه ترميم ذاكرته فعلا من خلال تلك الآلام والمآسي والأحزان التى عاشها هو وغيره من المناضلين ؟

فالواقع يفعل فعله فينا نحن البشر فنبدأ في غرس بذور الحياة رغم الأشواك.

هذا الفتى الخارج للتو إلى حياة لا يعرف الى أين ستقذف به بعد إكمال دراسته الثانوية، فإنه وبقوة وحماس واخلاص للنضال، وبما يلتهب في أفكاره من أنبل المعتقدات وأكثرها تقدمية عن الحرية وسعادة الانسان سيجد مشواره يطول ويتشعب إلى أن يصل في نهايته إلى ما وصل إليه.

حدّثنا حسن في كتابه عن اهتماماته الإبداعية، وعن حياته الشخصية دون رتوش وترك لنا الحكم على واقعٍ عاشه هو وبمعية آخرين غيره ساهموا كل بقسطه في النضال من أجلنا جميعًا.

وفي الفصول التالية من كتابه القيّم الذي نعتقد أنه يجب أن يُقرأ من كل من يعنيهم ماضي وتاريخ ومستقبل هذا الوطن.

يحكي لنا حسن وبأسلوب شيّق ورشيق بعضًا من الأحداث التي مرت بها أجيال متعاقبة من خيرة ابناء هذا الوطن وبطريقة تكشف وتنم عن فكره ومحنه، فإلى جانب مشاغله الدراسية والحزبية وعذاباته الشخصية كانت له اهتماماته الفكرية والأدبية الى الدرجة التى جعلته يتدرج في مناصب مهنية وصحافية أهلته لأن يكون في مصاف الكتاب والأدباء المبدعين.

لم يشعر حسن قط أجل وأعظم من شعوره الآن بعظمة الآمال والآلام التي عاشها من أجل ان يحظى هو والآخرون بعظمة المبادئ التي يحملها والتى مكّنته من مواجهة صعوبات الحياة . فرغم كل الصعاب والعقبات بلغ بعضًا من أهدافه وغاياته وانتصر على الكثير من محنه وآلامه مثله مثل من كانوا ومازالوا يحفرون الصخر بكل تواضع وثقة وصبر.

لا ابالغ إن قلت إن كتاب (ترميم الذاكرة) هو أكثر الكتب التى كتبت بأسلوب مشوق عن احداث السبعينات من القرن الماضي من تاريخ البحرين المأساوي إبان فترة الاحتقانات في ظل قانون أمن الدولة السيئ الصيت الذي لم يوفر أحدًا دون ندوب فشظاياه طالت آلاف البحرينيين وحكايات حسن مدن هي حكايات هؤلاء جميعًا.

إنه –أي الكتاب – يوجز ويعيد إلى الذاكرة كل ما عاناه الكاتب خلال فترة منفاه الطويلة عن البحرين ونراه يقدّم لنا من خلاله ضنك وعذابات سنوات طفولته وشبابه وتشكل شخصيته والخيارات الصعبة التى وجد نفسه في قبالتها في ظل عدم وجود خيارات حقيقية أصلًا .

يقول حسن (يبدو أن الدموع هي في الأصل لغة وإلا لما كانوا تحدثوا عن دموع للحزن وأخرى للفرح) فما ان اوشكت على الانتهاء من قراءته حتى أغرورقت عيناي بالدموع وأنا اتخيل كل تلك المحطات وكل تلك الأحداث التى مرّت به وكأنما هي سلسلة من الأحداث المتتابعة، وعلى الأخص حكايته مع ابنه (علي): (كان على في عمر حرج لم يكن في عامه الاول أو شهوره الاولى، وإنما كان قد بلغ الأربع سنوات وكان امر علاقته معي صعبا في البداية. لم يسبق له أن رآني ولم تشكل حكايات أمه عني اليه ما يعوّض بعدي عنه وسنحتاج معًا أنا وهو لبعض الوقت حتى نستطيع الاقتراب من العلاقة المألوفة بين ابن وأبيه وأب وابنه).

هكذا كان حال المناضلين جميعًا. النائب السابق وأحد ضحايا أمن الدولة المحامي محسن مرهون ولدت ابنته (زويا) وترعرعت وهو في المعتقل وآخرون غيره أيضًا لو اردنا تعدادهم واحصائهم واستحضار عذاباتهم وقصصهم لاحتجنا وقتًا طويلاً ومجلدات للكتابة عنهم .

في روايته الرائعة(سيدة المقام) يقول واسيني الأعرج (كم هو قصير هذا الزمن وذاكرته لا ترى أكثر من حاضرها) واضيف عليه كم هي قصيرة ذاكرة بعض البشر من حولنا أيضًا.

منذ السبعينات وربما قبل ذلك أيضًا فقد مضى على احزان مدن أكثر من ثلاثين عامًا وها نحن نتذكرها كيف لا وقد خلقت فينا تلك الفترة الرعب وأدخلت فينا الرهبة منذ ان تطأ اقدامنا مطار البحرين الدولي وحتى وأنت في منزلك تشعر بالرعب يجتاحك من كل حدب وصوب.

أقرأ كتاب حسن. ارتعش امام الأحداث التي مرّ بها وكأنما هي شريط من الذكريات الحزينة المؤلمة في فترة لم يسلم منها أحد، ففي كل بيت هنالك قصة ولكل طفل حكاية ولكل أم مأساة .

"ثلاثون سنة لاشئ في حياة إنسان يحب الحياة" يقول واسيني الأعرج في روايته (طوق الياسمين)، "ولكن الا تكفي تلك السنون للخروج من ثقل أحزانها ووطأتها؟ لا أعتقد ذلك فالندوب والمهانة والإذلال والقتل والتعذيب تحمل دلالاتها فينا وفي قسماتها المتعبة ولازالت تشكل حاجزا أمام نسيانها".

وفي مكانٍ آخر يقول واسيني (الحياة إذا لم تكن مشفوعة بأمل فهي قاسية جدا) وهكذا كان حال حسن وغيره من أبناء تلك المرحلة. كان الأمل هو الطريق إلى الخلاص من ذاك الكابوس ومن حقبةٍ لم تنته إلا وحفرت وأكلت من أجسادنا ومن نفوسنا الكثير الكثير .

وأنا اقرأ الكتاب دار في خلدي، وتذكرت كل مآسي من أحببناهم، تذكرت هاشم الشهيد الحي في صورته البطولية وبشخصيته الألمعية القوية برغم محاولة سجانيه أن يهزموه فلم يستطيعوا فانتصر عليهم ولم تمح من الذاكرة صورته المتلئة بالشجاعة العالية والتفاني بمبادئه النبيلة، تذكرت الأغلال والمحاكمات التى ما أن تنتهي واحدة لتبدأ اخرى وكل التهم جاهزة فهل يكفي ان نقول كفى ؟

كيف بجيل عانى ما عاناه ان ينسى ؟ يقول حسن في كتابه (النسيان هو ذاكرة أيضًا نلجأ إليه للهروب من سطوة حضور الذاكرة لكنها أشدّ مكرًا منا ومنه)0 كيف لهذه الذاكرة المثقلة بذلك الهم المهول ان تنسى ما ألم بها من احداث وفصول متوالية من المآسي والأحزان .

ففي لجة تلك المآسي هل مطلوب من الذاكرة أن تنسى وكفى؟ أشكّ في ذلك، فالنسيان نعمة لايتمتع بها إلا القليل، ومن فاقدي الضمير والإحساس. ومع ذلك فأمور عديدة نحتاج أن نتذكرها لتبقى وهجا في عتمة الأفق. وأمور أخرى نحاول جاهدين ان استطعنا نسيانها حتى نستطيع مواصلة مشوار الحياة الصعب فهل لنا أن ننسى؟

تشيخوف الذي مازال شاهداً على عصرنا

رضي السمّاك

إذا كان الأديب الروسي الكبير ألكسندر بوشكين الذي تناولنا في عدد سبتمبر الماضي جوانب من مظاهر تأثره بالتراث الإسلامي وسيرة حياته التي انتهت بمقتله التراجيدي قد أُطلق عليه «أمير شعراء روسيا» و«عميد الأدب الروسي»، فإن انطون تشيخوف هو بلا منازع عميد ورائد القصة القصيرة في روسيا إن لم يكن في العالم بأسره.

وإذا كان بوشكين قد تأثر في جانبٍ من تشكل خامته الشعرية الفطرية بما كانت تقصه عليهِ مربيته أرينا رود نيوفا من حكايات شعبية، فإن الأمر كان كذلك فيما يتعلق بتشيخوف الذي تأثر بوالدته في هذا الشأن، و التي كان لها الفضل أيضاً في تعليمه القراءة والكتابة وإلحاقه بالمدرسة وهو صغير.

وكلا الأديبين لم يعمّرا طويلاً، فالأول قُتل عن عمر لا يتجاوز الثامنة والثلاثين والثاني قتله مرض السل عن عمر لا يتعدى الرابعة والأربعين. على أن ثمة أوجه من التشابه الاخرى في بين سيرة كل منهما الأدبية والشخصية، فإذا كان جدّ بوشكين الإفريقي قد خطفه الأتـراك وهو طفل وباعوه للسفير الروسي، فإن جدّ تيشخوف كان في الأصل قناً لأحد الملاك.

وكلاهما تركا – كما نعلم – تراثاً أدبيا عظيما مازال خالدا حياً لا يموت رغم تعاقب العقود، وأنت لتقرأ أي عمل من أعماله تشعر وكأنه ليس شاهداً على عصره فحسب؛ بل وشاهد على عصرنا بتناقضاته الإجتماعية والطبقية المتشابهة مع عصره في انعدام العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية، سواء داخل روسيا نفسها أم في أغلب بلدان العالم وإن بدرجات متفاوتة، هذا بالرغم من مرور أكثر من 115 عاماً على رحيله جرت خلالها مياه كثيرة من متغيرات هائلة سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية في روسيا والعالم.

يُذكر بأن تشيخوف مُنح عام 1887 جائزة تكريمية بإسم بوشكين والتي تمنح لأفضل عمل أدبي متميز في روسيا، كما نعت النقّاد أعماله بأنه بوشكين في النثر الفني. بيد أن أهمية منجزات تشيخوف الأدبية لا تكمن في قيمتها الفنية الإبداعية فحسب، بل ولكون أغلبها لا يخلو من المضامين الفكرية السياسية الرفيعة المستوى والملتزمة بقضايا الإنسان المسحوق والتمرد على الفساد والاستبداد، فما بالنا لو مدّ الله في عمره طويلاً.

وُلـد تشيخوف في مدينة تاغانروغ الريفية الروسية عام 1860، وتُوفي في ألمانيا بمرض السل عام 1904، وعاش عصراً اتسم بحياة مضطربة على الصعيدين العائلي والعام، فعلى الصعيد الأول لم ينعم هذا الكاتب العظيم بحياة عائلية مستقرة هادئة هانئة، فقد كان الأب متديناً إلى حد التزمت ونزقاً شديد الغضب حدّ القسوة المتوحشة على أبنائه الصغار، بحيث لم يتورع أو يثنيه إيمانه وإلتزاماته الدينية عن إجبارهم على الوقوف ساعات طوال للترتيل في كنيسة المدينة ثم المكوث لساعات أطول في حانوته لمساعدته، وكان الضرب المبرح بإنتظار من تسوّل له نفسه الإفلات قيد أنملة بأي تبرير من تلك الفروض الدينية والواجبات القسرية اليومية الرتيبة التي تنغص حياة الكبار فما بالك بالصغار.

وليس غريباً والحـال كذلك أن يجد تشيخوف نفسه مضطراً للتعبير عن ذلك بكل غصة وألم وخجل، رغم تقديره واحترامه لمكانة أبـوه الذي دُفن إلى جانب قبره: «كانت حياتنا كمن يقضي حكم عقوبة أبدية بالأشغال الشاقة». ثم يبوح لاحقاً بما يختلج في مكنونه: «لم أستطع أن أسامح والدي في أي يوم من الأيام لأنه كان يضربني وإخوتي بالعصا طوال طفولتنا فصبانا»، وهو القائل أيضاً: «في صغري لم تكن لي طفولة».

بيد أن حال الأُم الصامدة الصبور لم يختلف عن حال أبنائها، سيما وأنها عايشت هذا الجحيم اليومي الذي يتجرعه فلذات كبدها الصغار وتقاسمته إياهم تقاسم رغيف الخبز الواحد. وقد تدهورت أحوالهم المعيشية الأسرية بعد إفلاس الوالد الذي اضطر إلى بيع البقالة والمسكن، والإنتقال إلى موسكو للفرار من تراكم ديونه المستحقة السداد والبحث عن مورد رزق جديد، بينما ظلّ كاتبنا فيها، فكان أن تولى إعالة والدته واخوته من دخل بسيط يجمعه مما يتقاضاه نـظـيـر تـعـلـيـم أبـنـاء العائلات الثرية. ولولا حصوله على منحة من مجلس مدينته الريفية لما أمكنه دراسة الطب في جامعة موسكو التي انتقل إليها ليبرز نبوغه الأدبي الإبداعي في هذه المدينة جنباً إلى جنب مع عشقه الجمّ لتخصصه العلمي والمهني كطبيب ورغم امتهانه هذه المهنة إلا أنه كان يعالج الفلاحين والفقراء مجاناً.

أما على الصعيد العام الإجتماعي والسياسي فقد كانت روسيا تموج بالغليان السياسي والطبقي الناقم على تفاقم الأوضاع المزرية جراء تغوّل استبداد النظام القيصري وتفشي مظاهر الفساد التي باتت تنخر جهاز الدولة القيصرية من قمته إلى أسفله. ويمكن القول إن فترة العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر حتى السنوات الأربـع الأولى من القرن العشرين التي انتهت برحيله المبكر هي أخصب فترات أعماله الأدبية التي أمتازت بالنضج والتطور إن في الأسلوب وإن في المضمون. فالحبكة القصصية والمعمار الدرامي – سواء في أعماله القصصية أم المسرحية – تمتاز بالتسلسل المنطقي الأخّاذ والذي ينساب في روح وعقل القارىء انسياب الماء الزلال في مجراه الفتّان، بل يصح عليه تعبيرنا العربي الشائع «السهل المكثف الممتنع» دون أن يخلّ في ثناياه بشروطه الإبداعية التي أمتلك تشيخوف ناصيتها بكل جدارة.

وهنا يكمن بالضبط سر تعاطف قرائه ليس مع أبطال قصصه فحسب، بل ومع المضامين الفكرية لما رمى من ورائها في أعماله، وذلك من خلال تشريح بؤس الواقع الاجتماعي والنظام السياسي القائم الذي يقف خلفه ، فضلا عن انشدادهم للقيم والمُثل الإنسانية العليا التي يبشّر بها وينادي بها للإنعتاق من ذلك الواقع الاجتماعي القبيح الذي يسود فيه الظلم والفساد وتنعدم فيه العدالة الإجتماعية، حتى يمكننا القول إن هذه الأعمال لا تقلّ تأثيراً بوجه من الوجوه عن دور الخطيب أو الناشط السياسي والحزب الثوري. وعلى سبيل المثال لا الحصر يعدّ معظم النقاد قصته «العنبر رقم 6» أعظم قصصه، هذا إلى جانب قصص أخرى بالغة الأهمية مثل «الرهان» و«المغفلة» وغيرها من عشرات القصص الأخرى، فقد عُرف بغزارة انتاجه رغم قصر حياته.

ولعل ما يميُز تشيخوف في أعماله القصصية صغر حجمها، كما أن أبطالها هم في الغالب من المسحوقين أو الناقمين على بؤس وتفسخ الأوضاع الإجتماعية، على أن عبقرية كاتبنا الإبداعية الذي كان الكاتب الروسي ديمتري غريفورتش أول من اكتشف نواتها في كتاباته الأولى إنما تتجلى في أنه ومن خلال هذا الحجم الضيّق قادر على تكثيف صور ومعانٍ جمالية شتى ذات دلالات فكرية بعيدة المدى، لربما عجزتْ عن بلوغها أضخم الروايات لعديد من كبار الروائيين في عصرنا ناهيك عن عصره، هذا دون أن نغفل هنا بطبيعة الحال ما يملكه كلا هذين اللونين الأدبيين – الرواية والقصة – من خصوصية على حدة.

وقد عاصر تشيخوف، كما نعلم، نخبة متميزة من كبار الأدباء والروائيين وربطته علاقات بالعديد منهم أمثال تولستوي والروائي الاشتراكي مكسيم جوركي الذي يُعد من أفضل من تناولوا مآثره وخصاله الإنسانية إن لم يكن الأفضل، سواء كما تجلت في حياته الخاصة التي كان شاهداً عليها بحكم العلاقة التي ربطته به، أو كما تستشف من أعماله الأدبية.

الخيال.. تنفس الروح

بتول حميد

لعلّ أجمل ما قاله أينشتاين بالنسبة لي «الخيال أهم من المعرفة»؛ هذه العبارة الساحرة كافية لئن أغمض عيني بسلاسة ليس كفعل عضلي بل كأني أغرق في لحظة حالمة.. ففي هذا العالم المجنون لو خيّروني بين خيالي وواقعه.. مافرطت في خيالي! أنا مفتونة بخيالي وممتنة له. ربما لهذا دوماً أهرب إلى الشعر والموسيقى، وأحبّ الكتب لمفارقتها الرهيبة في كونها تحافظ على وحدتي وتملأها. أحب أن تأخذني إليّ من دون تدخلات بشرية قريبة، ترسم في عيني قصيدة صوفية وفي الأخرى معلقة جاهلية، تبكيني بشدة في رواية لاتينية، تُقوس شفتي لبلاغة سطر من الأدب الروسي وتعطيني حرية صياغة موسيقاها التصويرية وتخيّل أبطالها.

قد يكون المساهم الأول في تشكيل نظرتنا الميتافيزيقية للخيال هي ديكتاتورية الواقع، فحين نستدعي تطوير الشاعر الألماني فريدريك شليجل لمفردة «الخيال» عبر رؤيتها من شرفة رومانطيقية عالية سنجد أنه أطلق عليها مسمى «تنفس الروح». ولكن هل يمكن أن تكتفي رئة الخيال على شهيق الدهشة وزفير الألم؟ حين نرقب أخيلتنا تبدو مثل غواية لمرآة آسرة من زاويتين حسّيتين، الأولى حكراً للخيال الخلّاق المهتم ببناء أشكال جديدة يزاوج فيها الصور والأشكال الموجودة سلفاً، والثانية الخيال «البلدوزر» الذي يحطم ماهو موجود وآني ويركن إلى الاستشراف والاستباق والافتراض وإعادة بناء واقع جديد مغاير للواقع المُعاش.

في مقاله «الشاعر والخيال»، تعامل فرويد معه عبر استقراء الميْل اللاشعوري في سلوك الإنسان «لقد اتضح أن مملكة الخيال ملجأ يتأسس خلال الانتقال المرير من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع، كي يقوم محل إشباع الغرائز التي ينبغي الإقلاع عليها في الحياة الواقعية. ينسحب الفنان كالعصابي من واقع غير يرضي إلى دنيا الخيال، لكن بخلاف العصابي، يعرف كيف يعود منه لكي يجد مقاما راسخا في الواقع»، ويستدرك فرويد تحليله النفسي بأن أفق الخيال لدى السعداء ليس بقدر سعته الهائلة لدى التعساء –باعتبار الكآبة أكبر محركات ومنشطات الخيال–. يربط فرويد بين الحالات الوجدانية للشعوب والكينونات السياسية وبين الدوافع اللاشعورية الجماعية والمضامين المتخيّلة أثناء الصراعات بين قوى المجتمع واعترف بوجود استثمارات وجدانية للخيال لا سيما في حالات الشدة وعند التعرض للخطر بغية تكثيف نقاط المقاومة والمحافظة على الذات. كما يؤكد فرويد على أن عمليات إنتاج الحلم هي عمليات إنتاجية مبعثها الخيال تعبر عن عمليات دفينة خارج الوعي وأن استعاضة الإنسان بالتخيل في السخرية والنكتة هو بالضرورة بحث متفاني عن مصدر اللذة والتخلي المؤقت عن بذل الجهد في عملية الكبت والصمود وما يرافق ذلك من تخلص من الإرهاق وتفادي للألم.

سعت الفلسفة فترة طويلة لتعريف الخيال وإقرانه بالفانتازيا لتجعل منه ملكة حيّة تجمع بين الصور في لوحات وفق التتابع الذي يحاكي الطبيعة، فسواء كنت معجباً بمعزوفات شوبان أو مفتوناً بلوحة النجوم لفان جوخ فأنت على الأرجح تتفق أن هذه الأعمال تستند على خيال هائل لم يكن معضلة ذهنية أمام تقديم تشكيلات جوانيّة متنوعة بل كان المحفز الرئيسي لبلورتها.

اكتشاف القصيدة (شهادة إبداعية)

فاطمة محسن

كان للحلم طعمُ البراءة، طفلةٌ تكتشفُ ملوحةَ البحرِ وتعشَقُه رغم ذلك، تغازلُه بجسدها كلَّ يوم، رغم اعتراضاتِ الأم.

كان هو قصيدتي الأولى.

الموجُ بأشكاله كان القصيدة ...زبدُ البحرِ كان الدهشة. ارتطامُه بالساحل ليبلّلَ أقدامَ الأطفال كان مرحَ القصيدة...هكذا كنتُ أغزلُ حروفي الأولى على شرفِ الماءِ وخرائطِ ملحِه المرسومةِ على جسدي.

كنتُ أُخبرُه بكل انتكاساتِ قلبي كفتاةٍ قرويةٍ تتمرّدُ على كل شيءٍ، ألجأُ إليه أبكي التمييزَ بحرقةِ المقهور. ذلك كان أول البوح.

وحينَ مراهقة كنت أكتبُ له رسائلَ الغرام وأخبئُها في قناني ثم أرميْها إليه ليحفظَ سري ويحفظَ شكوتي. إلى أن خَنَقوهُ بالرملِ. وسُرقتْ ضفائري. وتلك هي أولُ التفاته لأهمية الكتابة تزامنَ الموتُ، لم نعد نلتقي ومارسنا الاختناق، ثمانيةَ عشرَ عاماً كنا نقاومُ اختناقنا، إلى أن قررنا أنْ نفرح. وكلُ صرخةٍ كانت شهقةُ قصيدة. بدأنا معاً نتهجى حروفَ الحرية ونصعدُ بالحرف على صوتِ أمي الذي كان طوق نجاة لي لاكتشاف عالم مليء بالعجائب كصندوق الدنيا فكانت تشغلنا بالحكايا والحزاوي تضرب الأمثلة وتشعر بأبيات من التراث الشفاهي تغنينا وتسد خانة الفقد واليتم كان الحزن يتغلغل لقلبي بصوتها الشجي حين تنشد قصائد الرثاء فأبكي، وكنت أطرب جدا وهي تغني لي

(فاطمة يا فطمطم يا عشيرة وقوم راحت تبيع الغزل بقيت 12 يوم مدري خذوها عجم وإلا خذوها روم)

ثم بدأ التمرد، والتمرد نجاة فهو صرخة في وادي الظلم وطريق للحرية والتغيير ولأن المتمرد يحتاج لعالم خاص ينتشله بعيدا عن الفضاء المشحون بالتوتر كانت القراءة، بعدها جاءت النجاة فانتصر الحرفُ والموج، عدنا نقوي ما أضعفَه الوقت

أقرأ ويرقصُ الموج، أبحثُ ويغني لي

نرقصُ معاً وننسج محبة. ونهيم بعيدا عن ضجيج هذا العالم، هكذا كانت القصيدة تشهق داخلَنا. وما زالت. ولأن القصيدة رؤيا تتفجر بالقلق سرنا معا في طريق الدهشة والنشوة ولأن القصيدة هي وعي بالعالم سرنا نغمس الواقع بالدلالة واللغة ونحدد شكل القصيدة كما ينبغي للشكل أن يكون أي كما يأخذه الإحساس والخيال، الرمز وجلالة المعنى والموقف، ولأن القصيدة في حياتي كانت بديلا للرصاص أتمنى أن ينتشر سرها الغامض ليرتب هذا العالم ويفتت فوضاه الجامدة، القاسية والمتوترة لتصبح الحياة تجسيدا شعريا راقصا وخلقا جديدا سؤالا وجوابا في وجه الريح للشعر والإنسان والعالم.

ربما تكون هذه الكتابة حالمة في ظل ما نعيشه اليوم من حروب ودمار، هكذا بدأ كل شيء جميل بالحلم وما الحقيقة إلا حلم سابق.

ما زلتُ أحتاج الكثيرَ من رقصِ الموج وما زال كذلك. يحتاجُ شهقةَ القصيدةِ على سواحله.

ونحن في طريقِ الشمسِ نرمم ما هُدِم من أرواحِنا.

نستغيثُ بالمطر.

بحرٌ يغازلُ أقدامَ الصغارِ وحرفٌ يغازلُه الحبُ ويطرّزُ البنفسجُ حزناً وحريةً وحياة.

النقطة العمياء

صندوق الحماقة والرعب

أحمد رضي

في صغري، كنتُ أتسلّى كثيرًا بلعبة «لماذا؟». إذْ أسأل فريستي التي قد تكون شيخًا بالغًا أو طفلاً بعمري، لماذا تفعل هذا الشيء؟ وعندما يجيب يتكرر السؤال ذاته، ولكن لماذا؟ وهكذا إلى ما لا نهاية. الكبار يتفاعلون معي عادةً، ولكن الإجابات إما أن تصل إلى طريق مسدود، أو غالباً ما تعود لنقطتها الأولى. ربما ظنَّ بعض الكبار أن في الأمر نباهةً ما، ـ كانوا مخطئين على أية حال ـ ولكن بعض الأطفال كرهوني لهذا السبب. لأن الأسئلة تحاصرهم وتجعلهم مثل الدمى.

ـ لماذا تدرس؟
ـ لكي أعمل في المستقبل
ـ ولماذا تريد أن تعمل؟
ـ لكي أستطيع أن أشتري الأشياء
ـ ولماذا تريد أن تشتري الأشياء؟
ـ لكي أكون سعيدًا
ـ ولماذا تريد أن تكون سعيدًا.
إلخ ..إلخ ..ألخ

ومهما تنوعت الإجابات، فإن"لماذا" ستظلُّ تطاردها. فإما أن تعيدها لحلقتها الأولى، أو أن تصل إلى "نقطة عمياء". أي أننا نفعل هذا الشيء لأننا نفعله وكفى. رغم أننا لا ندري لماذا نفعله، لكننا سنفعله، لأنه هكذا وكفى.

في الروايات البوليسية وأفلام الإثارة، يكون للمجرم دوافع محددة وواضحة تتكشّف في أواخر الصفحات. نرتاح حينها لأننا سنفهم هذا السلوك السيء في ختام الرواية أو الفيلم، فما هو مفهوم يمكن تجنّبه أو يمكن التعامل معه.

لكن الأمر أعقد من ذلك في الروايات الأكثر تبحرًا في الذات الإنسانية، لأنها تحاول أن تتفحّص الدوافع وما وراء هذا الدافع. رغم أن حبكتها الأساسية قائمة على هذه "النقطة العمياء" أي أن أبطال الرواية يؤدون أدوارهم التي نتفهّم تفاصيل تصرفاتها، ولكن الدوافع الجذرية لسلوكهم والتي تقود سرد الرواية، تكون مخفيّة في قاع مظلم، نعلم أنه هناك، ولكننا نقرر أن نتجاهله ـ كما نتجاهل هذا حين نؤدي الأدوار في حياتنا ـ إنه الخيط الدقيق الذي يبقي اتصالنا بالواقع، ونخاف أن نفلته كي لا نسقط في الجنون. رغم أن اتصالنا به، كثيرًا ما يقودنا نحو الحماقة أو ما هو أفظع!.

يحضرني الآن مثال من رواية "دونكيشوت".. لماذا رافق "سانتشيو" العاقل والذي يؤمن بالوقائع الملموسة سيده المثالي المجنون" دونكيشوت" حين وعدهُ بحكم جزيرة عند انتصاره؟

لا يبدو أنّ لهذا الأمر تبريرًا." فسانشيو" يعلم أن دونكيشوت مجنون، سانشتو عاقل، لكنه مع ذلك يرافقه أملاً بحكم الجزيرة؟!.. وهذا هو سرُّ فكاهة الرواية، أي في هذه النقطة العمياء تحديدًا!

وهو سرّ الرعب أيضًا في روايات أخرى..

محليًا، يحضرني العمل الأخير للكاتب "فريد رمضان" "المحيط الإنكليزي".. لماذا يلتزم أبطال الرواية بحمل الأمانة التي هي عبارة عن "حجر" رغم ما لهذا الحجر من تأثيرٍ سحريٍّ يجلب الكوارث؟.

لن ارثيكم

عبدالخالق الركابي *

لن أرثيكم
لن أمسح دمعًا
يتساقط مخذولًا من عينٍ تبكيكم
أعلم أن لكل شهيدٍ منكم
أحلامًا ستؤرق جلاديكم
أعلم أن لكل منكم
وطنًا سيضمد يومًا ما الجرح
وينهض ثانيةً ليغنيكم

* أديب وشاعر من العراق

واحة الفكر

الألفة النقدية: حوار مع غياتري سبيفاك «مقتطفات»

ترجمة: هشام عقيل

حاورها: ستيف بُلسون

■ أصدرتِ نسخة الذكرى الأربعين لكتاب دريدا (في الغراماتولوجيا) مؤخراً. لماذا نحتاج ترجمةَ منقحة لهذا الكتاب؟

ـ عندما ترجمت هذا الكتاب، لم أكن أدري من هو دريدا أو ما هو نمط تفكيره على الإطلاق. فإجتهدت في تقديمه وترجمته. كان التقديم موفقًا – وأنا ممتنة لذلك. ولكن الآن، بعد عمر طويل من العمل مع وعبر دريدا، يمكنني أن اقول أشياءً أكثر لقرائي حول هذا المفكر المذهل، ولهذا السبب قمت بإضافة خاتمة لهذا الكتاب. هذا هو نوع من الثناء لحياة معاشة بدلاً من مصادفة نص عظيم جديد.

■ هل تغير فهمكِ لكتاب دريدا عبر هذه الأربعين سنة منذ أن قمتِ بترجمته؟

ـ أعتقد ذلك. عندما بدأت لم أدرِ كم كان لهذا الكتاب توجهاً نقدياً إزاءَ المركزية الأوروبية حيث لم يكن هذا المصطلح شائعاً في 1967. كان دريدا يهوديًا من الجزائر، وولد قبل الحرب العالمية الثانية، يناهض الفلسفة الغربية من الداخل. يا له من شخص عبقري، وجد المركزية الأوروبية فيها. لا أعتقد أنني فهمت هذه الناحية أكثر مما أفهمها الآن. وأنا أفهم الخيوط التي تجري عبره لا من حيث الطريقة التي نمارس فيها القراءة بل الحياة نفسها، وهذا لم يكن واضحاً بالنسبة لي آنذاك. وأصبحت أعلم أشياء أكثر عن هيغل عما كنت اعرفه آنذاك؛ لهذا صار بإمكاني إقامة بعض من الروابط.

■هل تجدين هذا الكتاب عبارة عن نقد للفلسفة الغربية؟

– أليس هذا ما نعنيه بالتفكيك؟ المسألة لا تتمحور حول التفكيك وحسب، بل الإعمار كذلك. أنها ألفة نقدية، لا إبتعاد نقدي. هذا يعني التحدث من الداخل فعلاً. وهذا هو معنى التفكيك. قال أستاذي بول دو مان يوماً إلى الناقد العظيم فريدريك جيمسون: "يا فرد، لا يمكنك تفكيك إلا ما تحبه". لأنك تقوم بالتفكيك من الداخل، بمودة ومحبة وألفة حقيقيَة، فأنت نوعاً ما تقوم بقلبه. نحن نتحدث عن هذا النوع من النقد.

■ ماذا كان يحاول دريدا تفكيكه؟ وكيف كان يحاول تفسير الفلسفة الغربية في ضوء جديد؟

– ركز عليها من ناحية هيمنتها لمدة قرون من دون أي تغيير. تم استبعاد جماعات بأكملها لأن خطاب ما مؤسس بالفعل. قال شيئاً قوياً حول الشفاهية الإخبارية الإفريقية: بإمكانهم أن يرجعوا بذاكرتهم سبعة أجيال، بينما نحن فقدنا هذه القدرة. هناك تأخذ "الكتابة» موقعاً في المادة النفسية تسمى «الذاكرة». يربط دريدا هذه المسألة بفرويد. فما كان يقوله هو: تفحصوا الواقع جيداً، فإنه مشفر لأجل أن يفهم الآخرون ما نقوله، حتى لو لم يكونوا حاضرين. بذلك درس كيف تم قمع كل هذا في التقاليد الفلسفية.

■ اليوم أنتِ معروفة لتكوني أحد مؤسسي دراسات ما بعد الكولونيالية. هل هناك أية علاقة ما بينَ هذا العمل وعملكِ المبكر حول التفكيك وترجمة دريدا؟

– لم أكن ـ ضمن المجموعة المنظرين الفرنسيين على الإطلاق. فبكوني غريبة على هذه

المجموعة كان لي نوعًا ما مجالاً سباقاً مع التفكيك. فأصبحت المسألة باطنية لدرجة أني لم أقم بالروابط اللازمة. أما حول مسألة ما بعد الكولونيالية فهي أتت كنوع من لحظة لسيرتي الذاتية التي حتى تصيب المهاجرين المتحضرين من الطبقة الوسطى، أو مثلما يقول إدوارد سعيد أعتقدت أنه تمّ اخضاعي للإستشراف في العام 1981 عندما سئلت من قبل مجلة دراسات يال الفرنسية أن أكتب حول الحركة النسوية الفرنسية ومن قبل مجلة التحقيق النقدي أن أكتب حول التفكيك، سألت نفسي: كيف يعقل أنني أصبحت مرجعاً حول المواد الفرنسية؟ فإتجهت نحو تفكير مغاير. هكذا، كان الإرتباط مع هذا الجزء من التفكيك الذي يدرس ما يتم إهماله عندما نبني أنظمة معينة. هذا الجزء من التفكيك الذي يقول أن أفضل طريقة للإستمرار هو عبر النقد – الذاتي الصارم. هذا الجزء من التفكيك الذي يقول لنا ألا ندين ما نفككه، بل نقحم أنفسنا داخله – أتذكر الألفة النقدية؟ – وتحدد اللحظة في النص نفسه التي تمكنك من قلبه رأساً على عقب وتستغله. فهذه كانت طريقتي الخاصة للإستمرار. فبذلك نجد بوضوح أنه كان هناك إرتباط ما. ولكن الشيء الوحيد الذي لم أقم به هو التطبيق النظري، حيث التنظير هو ممارسة. فأصبح ذلك باطنياً: أنت تغير تفكيرك وتظهر ملامح التغيير في عملك؛ وهذا ما حدث بالفعل.

■ تعتبر دراستكِ «أيمكن للتابع أن يتحدث؟»، المنشورة في 1985، أحد النصوص المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية. هل يمكنكِ تفسير ما تعنينه بكلمة «تابع»؟

– تشير الكلمة إلى أولئك الذين ليس بإمكانهم إطلاق الآوامر؛ أنهم ينصاعون للأوامر وحسب. الذي جعل هذه الكلمة رائجة هو انطونيو غرامشي، حيث كان يركز على من لم ينتمو إلى الطبقة العاملة أو الذين يخضعون للإستغلال الرأسمالي. كان يرى الأشخاص الخارجين عن هذا المنطق لأنه بنفسه كان من ساردينيا، التي كانت خارج إيطاليا العليا في الشمال. لكن «التابع» أيضاً يعني أولئك الذين ليس لهم قدرة النفاذ في أبنية المواطنة. أنا أتحدث الآن عن الهند اليوم، حيث أكبر قطاع من الناخبين هم الأميين الريفيين المجردين من أراضيهم. يمكنهم الإنتخاب لكن ليس لهم أي منفذ لأبنية المواطنة. هذا هو معنى التابع.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 144 ـ نوفمبر 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

هب لي منك وقتًا

سوسن دهنيم

الساعةُ تتلوَّى.. والوقتُ يحبو
آن أواني وقميصي تدلّى، حين سَمِعَ
نبضَ خطاك
أرى البحرَ يلحقني، ولا مجاديف تُطِلُّ
من الانتظار
الليل صارخٌ..
وأنتَ لا تضيء
فهبني من شموعِكَ شعلةً تهديني إليك

تتذكرُ أنكَ نسيتَ سلاميكَ حين وداع،

أسألُكَ وقتاً تهربُ إليهُ الشفاهُ مبلّلةً
بهمسات كفَّيكَ
وأنت تُخَوِّضُ الصمتَ بخطاك

الموجُ يصلُني..
يستعيرُني صموداً زائفاً
وصوتُكَ يقترب:

«هنا خبَّأتُ سلاميَّ في ذاكرتِك؛ كي
تنتشي بلمساتي»

تطلُّ بها..
تتحسسني..
أنتشي..
وأصحو من جميلِ النوم

قُلْ لعينيكَ ألا تهطلاني لئلا أتوه.

زعفران النسيان

مسرعةً آتيكَ كي تحضنَ ما انْفَرَطَ من
وردي
تنثرُ بصماتِكَ على وجهي حذراً
أتحسّسُ لمساتِكَ.. فأُحصي خساراتي،
كلما تذكرتُ اتساعَ المسافة،
وأنكَ مأخوذٌ بالغياب،

أبسُطُ لكَ الحضنَ دافئًا..
فتملأه بالعواصف

تقتربُ
تنسى زعفرانَ النسيانِ،
وترتدي حكمةَ الضوء
تشحذُ البصمات بصوتي
وتزعمُ أنه نبيذٌ تحتاجُ إليه بصمتُك
كي تلتهبَ وتنسى ضوءَها ..

كأن التريثَ يصيبُكَ فتجفل
تتذكرُ أن الليلَ يتفقدُ ظلامَه.. حين
يتلامسُ عاشقان..

فتطفئ الليلَ..

وتحتضِنُني.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com